الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس

كلية الآداب و الفنون

قسم الأدب العربي

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في ألغة العربية و آدابها

نشأة النقد الأدبي الحديث في العالم العربي لعز الدين الأمين

• من إعداد الطالبين :

• بن ذهيبة زهير

• بختاوي صارة

* تحت إشراف :

* د . لحسن رضوان

السنة الجامعية:2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

"وقالوا الحمد لله الذي هدانا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله "

نحمد الله و نشكره , و الذي بعونه تم انجاز هدا البحث الذي نهديه إلى التي علمتنا السهر و الصبر و الأمل و دفعت ثمن ما تعلمناه دموعا و شوقا أمي الغالية و لها الشرف و العزة لنا و إلى أبي أطال الله في عمره و إلى شموع البيت إخواني و أخواتي و نهدي عملنا إلى آستاذنا المحترم الدكتور لحسن رضوان الذي نتمنى له النجاح في مشوار عمله.

و إلى كل طلبة الأدب العربي عامة و قسم الأدب و الذي كل من قدم لنا يد العون في انجاز هدا البحث .

مقدمة

المقدمـــــــــــة

يشغل النقد الأدبي بصفة عامة دائرة البحوث القديمة والحديثة بتوراته العديدة خلال فترات متعاقبة من الزمن، أما عن النقد في مصر فقد نشأ وتطور لداخل عوامل عدة أسهت في تغيير مساره اتجاهه ومناهجه غير الذي ساد قديما أي قبل القرن التاسع عشر، حين كان مع مجموعة من الشيوخ قد أولوه في حلقاتهم المعروفة في الأزهر الشريف من أمثال، سيد علي المر صفي وحمزة فتح الله والمولي، والذين كانوا ممثلين المظاهر النقد القديم في دورته الأولى، التي لم يخرج فيها إلى دراسة منهجية علمية أما صورته الثانية والتي استهلت مع النصف الثاني في القرن التاسع عشر، والتي حاول فيها النقاد وضع نظريات في النقد تصطبغ بالصيغة العلمية، محاولين الاستدلال بالعلوم الأخرى، من أمثال هؤلاء طه حسين والعقاد وغيرهما، أعطت النقد ميزة جديدة وكشفت عن نقد لا سابق له عند العرب.

وكان اختيارنا هذا الموضوع، لأسباب ثلاثة كان أولها: رغبنا المسبقة في تناول أحد المواضيع المتعلقة بالنقد بصفة عامة.

وثانيها تمثل: في موافقة رغبتنا هذه لرغبة الأستاذ المشرف.

أما عن ثالثها: فهو عدم تناول هذا البحث من طرف الرسائل الجامعية السابقة.

ومن هذا المنطق كان بحثنا عن النقد العربي في مصر تحت عنوان "العوامل المؤثرة في نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر". والذي تناوله عن الدين الأمين في كتابه "نشأة النقد الأدبي في مصر" والذي كان مصدر ومرجع بحثنا. إن المنعرج الحاسم الذي حدث في مسار النقد الأدبي في مصر والذي أدى به إلى الانتقال من بنيته الجافة إلى أخرى خصيبة، أنيرت بمعالم الفكر والعقل، ما لم يشهده العرب قبيل هذه الفترة، وهذا التحول والانتقال جعلنا تتساءل عن كيفية حدوثه أو بصيغة أخرى، ما هي المؤثرات التي كان لها دخل في هذه النقلة المدهشة.

إلا أننا في الإجابة عن هذه الإشكالية من خلال هذا البحث فقد واجهتنا صعوبات، وعراقيل، واجهت أي دارس أو باحث في هذا المجال أو أي مجال آخر من نقص في المراجع التي تناولت المواضيع النقدية في الساحة المصرية،

وعدم توفر مكتباتنا الجامعية على ما يثري ويغني بحوثنا بالمادة الأدبية والعلمية ونقص المراجع هذا راجع إلى تخصص بحثنا، فقليلة هي المراجع التي تحدثت عن عوامل نشأة النقد

الأدبي في مصر بغض النظر عن كتاب "الأمين عز الدين" بالإضافة إلى بعض العراقيل الأخرى الثانوية كضيق الوقت، وذلك لقصر السنة الجامعية. أما عن الدراسات المتناولة لهذا الموضوع فإننا نجد دراسة حلمي مرزوق في كتابه "تطور النقد والتفكير الأدبي في الربع الأول من القرن العشرين" والذي تناول هذه العوامل كفصل من فصول الكتاب. وقد جاء بحثنا هذا في ثلاث فصول ومدخل تناولنا فيه مظاهر النقد القديم في مصر وبعده الفصل الأول والذي تناولنا فيه أهم عامل أسهم في نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر ألا وهو الاتصال بالأجانب والبعثات العلمية. أ ما عن الفصل الثاني فقد تطرقنا إلى أهم العوامل وأكثرها وقعا وتأثيرا، وهو الإستشراق متظمنا لأهم المستشرقين الذين أثروا بأعمالهم النقد الأدبي.

ثم الفصل الثالث والذي أخذنا فيه نموذجين من مظاهر النقد الجديد ،من خلال أبرز ممثليه من النقد المعاصرين الذين برزوا باتجاهاتهم النقدية المختلفة على الساحة العربية بصفة عامة والمصرية خاصة، هما العقاد طه حسين.

أما المنهج المتبع في دراستنا كان منهجا وصفيا تحليليا، وضعنا من خلال ما استقصيناه من مظاهر قديمة وجديدة في النقد، محللين على ضوء هذا الوصف العوامل الأساسية ومناهج كل من العقاد وطه حسين من خلال أقوال وشهادات النقاد والباحثين.

وأخيرا نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ معمر عبد الله والذي كان لنا يد عون طول مدة البحث وعبر مراحله المختلفة بما قدمه لنا من إرشادات ونصائح ومعلومات كما نتقدم بالشكر لكل من أسهم في إفادتنا ولو بكلمة شحذت همنا وشجعتنا إلى المضي قدما.

مظاهر النقد القديم في مصر

مظاهر النقد القديم في مصر:

كان النقد الأدبي في مصر، مجسدا في تلك الدروس الشفهية التي كانت تقام بالأزهر الشرف، على يد مجموعة من الشيوخ الذين سايروا في نظرتهم للأدب أسلافهم وأساتذتهم من أمثال صاحب أسار البلاغة ودلائل الإيجاز والآمدي صاحب المؤازنة بين الطائين وابن رشيق صاحب العمدة، وربه وصاحب العقد الفريد وغيرهم ممن أهتموا بالبلاغة.[1]

وعلى الرغم من النهضة التي شهدتها مصر في أوائل القرن التاسع عشر والتي تميز بها عهد محمد علي وبعده محمد إسماعيل إلا أن النقد للأدبي ظل على حالة الأولى والمعهودة في دروس البلاغة التي كانت تلقى في حلقات الأساتذة والطلبة كما ظل النقد أيضا محدودا في حالة اللغوية.

حيث تمثلت دروسهم في النقد في دراسة الأدب والنقد القديم فكان التدريس في الأزهر مقتصر[2] على تعليم الكتب القديمة فمثلا سيد علي المرصفي كان مدرسا في الأزهر الشريف وكان درسه متمثلا في ديوان الحماسة الذي كان يقدمه على شكل دروس في الأزهر الشريف، وهذا حال كل المشايخة، حيث درسوا كتب الأقدمين وطرائفهم في النقد اللغوي التقليدي عند العرب القدامى، إلا أنهم أوجدوا محاولات في التجديد في درسهم، وأكد على ذلك أديب إسحاق: "رأيت أن أصرف العناية إلى تهذيب العبارة وتقريب الإشارة، لتقريب المعنى في الإفهام، ومن أقرب وأعذب الكلام وانتقاء اللفظ الرشيق للمعنى الرقيق متجنبا من الكلام ما كان غريبا وحشيا ومبتذلا سوقيا، فإن التهافت على الغريب عجز، وفساد التركيب بالخروج عن دائرة الإنشاء، داء سرى في القراء والمطالعة أدى إلى فساد عام، وأغلق على الطلبة معاني كتب العلم والتنازل إلى ألفاظ العام، يقضي بإماتة اللغة وإضاعة محاسنها وأن في لغة القوم ولدليل على حالهم".[3]

فحياة النقد إذا في مصر ظلت خامدة، حالتها حال الحياة الأدبية بصفة عامة فقد بقي النقد معتمدا على البيت الواحد دون سائر القصيدة، ومعتمدا على الموازنة الشعرية بين البيت وغيره أو الشاعر والشاعر الآخر، فيقال: هذا شعر جيد أو هذا شعر ردي، هذا اعتمد البديع

[1] عز الدين الأمين، نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، الطبعة الثانية، ص16
[2] طه حسين، المجموعة الكاملة لمؤلفاته، الطبعة الرابعة ص7
[3] عز الدين الأمين، نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، الطبعة الثانية، ص19

فكان شعره منمقا أو اعتمد على دروس البلاغة كما قلنا فقيل هذا تشبيه وهذه استعارة أو غيرها من صور البيان.

حلقات الأزهر الشريف:

من أهم شيوخ الأزهر الشريف في هذه المرحلة الشيخ حسين المرصفي، الذي تلقى العلم في الأزهر وكان كفيف البصر وبلغ من ذكائه واجتهاده أنه تولى التدريس فيه، وله مؤلفات مهمة وهي:

1- **الكلم الثمان:** في الأمة والوصف والحكومة، وهو يمثل حال الأمة المصرية طبع سنة 1298هـ.

2- **الوسيلة الأدبية في العلوم العربية:** طبع بمصر سنة 1296هـ."[1]

وقد خطى المرصفي بالنقد خطوة إلى الأمام، وقد تجلى نقده ومنهجه في كتابة الوسيلة الأدبية وقد شهد له تلميذه طه حسين فقال: "أستاذنا الجليل السيد بن علي المرصفي أصح من عرفت بمصر فقها في اللغة، وأسلهم ذوقا في النقد وأصدقهم رأيا في الأدب، وأكثرهم رواية للشعر ولا سيما الجاهلية وصدر الإسلام"[2] وإذا كان المرصفي قد شاع صيته في أروقة الأزهر، فإن الشيخ حمزة فتح الله كان أبعد أثرا لأنه كان ذا مكانة كبيرة في مجتمعه وقد كان أستاذا في دار العلوم، التي كانت تخرج مدرسي.

اللغة العربية في مراحل التعليم المختلفة، ثم عين كثيرا المفتشين هؤلاء المدرسين في كل البلاد، كما كان ينتدب في امتحانات المدارس العليا وامتحانات طلاب الوظائف العامة في الدولة، وكان من كتابه[3] "أداب اللغة العربية" وإلى جانب الشيخ المرصفي والشيخ حمزة فتح الله توالى على الأزهر الشريف زمرة من الشيوخ الأفاضل الذين كان لهم يد في النهضة الأدبية في العالم العربي عامة، وفي مصر خاصة ومن بينهم محمد عبده والشيخ حسن الطويل، والشيخ عبد الكريم سلمان، والشيخ محمد البسيوني، الذي كان من تلامذته الأديب أحمد شوقي وقد تتلمذ على أيديهم أساطين الفكر والأدب العربي كأحمد باشا زكي عبد العزيز

[1] راجع جورجي زبدا تبا الخ أداب اللغة العربية ج 4 طبعة جديدة ص 239.
[2] طه حسين، المجموعة الكاملة لمؤلفاته ،الطبعة الرابعة، ص9.
[3] طه حسين، المجموعة الكاملة لمؤلفاته ،الطبعة الرابعة، ص15

باشا فهمي، وأحمد لطفي السيد واحمد فتحي زغلول إلى غيرهم ممن أسهم وجدد في مناهج النقد الأدبي بمصر.

المقاييس المعتمدة في النقد القديم:

مثلما اشرنا سالفا، في تناولنا للنقد القديم في القرن التاسع عشر، فإن النقد الأدبي في مصر ،لم يخرج[1] في مجله عن القديم الذي اعتمد كبار النقاد، كالجرجاني، والآمدي، وغيرهما، واعتمادهم النقد الجزئي، والموازنة بين الشعراء، وقصائدهم، فذهبوا مذهب التنقيح في الشعر وذمه أو مدحه والعلوبه فقالوا عن شعر هذا أنه رديء لا يرق إلى مرتبة الشاعرية فاقتصروا على البيان أو البلاغة والبديع.

ونأخذ عن سبيل المثال المناهج التي أعتمدها المرصفي في هذه حيث كان في دراسته لشعر الأقدمين وشرحه لا يهتم إلا باللغة والنقد، فكان كثيرا ما يسخر من أبي العلاء المعري، وتلامذته وكان يهزأ بما تكفلوه من نحو وصرف وعروض، وقد كان مخالفا لما كان يحدث في الأزهر أي أنه كان يسخر من دروس الأزهريين "فكانت أشد صفاته يكره الأزهريين وتقاليدهم ويزدري دراساتهم ومذاهبهم في هذه الدراسة وكان يقضي أكثر وقته عاتبا بالشيوخ ساخرا منهم وحاول أن يحبب الأدب إلى تلامذته ويبغض إليهم دروس الأزهر المألوفة وكتبه التقليدية.[2]

أما نقده فكان بتوجيه بعضه دون التعليل وكان معتمدا على الذاتية والنقد اللغوي حيث يشهد له بذلك تلميذه طه حسين بقوله: "مذهب الأستاذ المرصفي النفع كله إذا أريد تكوين ملكة في الكتابة وتأليف الكلام وتقوية الطالب في النقد وحسن الفهم لأفكار العرب، وليس يريد الأستاذ أكثر من ذلك ولكن هذا المذهب وحده لا يكفي لإجادة البحث عن الآداب وتاريخها على المنهج الحديث".[3]

إن الشيخ حسين المرصفي يعد بلا شك من رواد النقد التقليدي في مصر، قبل عصر النهضة، على نحو ما أشرنا إليه في نقده، في الوسيلة الأدبية وخاصة ما كتبه عن صانعي الشعر

[1] راجع جورجي زبدا تبا الخ أداب اللغة العربية ج 4 طبعة جديدة ص 239

[2] محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، مطبعة مصر، القاهرة، دون طبعة،ص 36.

[3] عن طه حسين، عن حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث، ص457، بدون طبعة.

والنثر وموازناته بين الشعراء والناثرين قدامى ومحدثين، فهو مثلا يورد القصيدة التي مدح فيها أبونواس الخصيب ابن عبد الحميد العجمي أمير مصر والتي مطلعها:

أجارة بيننا أبوك غيور ومسور ما برجى لدلك عسير

ثم يقوم بشرحها ونقد ما يراه دارجا من معانيها مثل الرحلة لكسب المال لإرضاء الحبيبة، حيث يورد عددا من الأبيات التي تداول فيها الشعراء المعنى نفسه مثل قول أحدهم:

ودعيني أطرف بالبلاد لعلني أصادق حرا أو أموت فأغذرا

وقل آخر:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتكسب عناي الدموع لنجمدا

أو الأبيات التي يكثر فيها اللفظ ويقل فيها المعنى مثل قول أبي "نواس في قصيدته.

فما جازه جود ولا حل دونه ولكن بصير الجود حيث بسير

فالشيخ المرصفي يرى بحق أن هذا البيت من الشعر الذي كثر لفظه وقل معناه إذ معناه، لا يفارقه الجود ويرجع الشيخ فضلا عن ذلك أن أبا نواس قد أخذ هذا المعنى عن الشنفرى، فأساء الأخذ لأنه اسند إلى قياس تضمن فارقا كبيرا بين الجود في قول أبي نواس "والحزم" في قول الشنفرى:

ظاغن بالحزم حتى إذا ما مل حل الحزم حيث بحل

ثم يصل المرصفي إلى نقد قصيدة "الأمير" التي في وزن قصيدة أبي نواس وعلى رويها، أي لا تعبر معارضة لها ومطلعها:

نلاهيب إلا ما يجن صمير وداربت إلا ما بنم زفير

وهو هنا في نقده يقول: "أنظر هداك الله لأبيات هذه القصيدة فأفردها بيتا بيتا، تجد ظروف جواهر أفردت كل جوهرة لنفسانها بظرف، ثم أجمعها وانظر جمال السياق وحسن النسق، فإنك لا تجد بيتا يصح أن يقدم أو يؤخر ،ولا بيتين يمكن أن يكون بينهما ثالث ، وأكلك إلى سلامة ذوقك وعلو همتك. إن كنت من أمل الرغبة في الاستكمال ،لتتبع هذه الطريقة المثلى"[1]

[1] محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، سابق ص18 – المرجع نفسه.

ومثل هذا النقد لم يكن إلا مع المرصفي وكان باعثا جديدا في تقدم الأدبي في مصر وبخاصة في الأزهر وكان من نقده أيضا ذلك النقد اللغوي والذي مثل له يقوله عن بيت أبي نواس.

كما نظرت والريح ساكنة لها عقنباة أرساع اليد بن زور

نقده بقوله: "فقوله عقنباة هو من صفة العقاب، تأل في القاموس عقاب. عقنباة ذات مخالب حداد فأضافها في كلامه إلى الإرساغ غير ظاهرة".[1]

ومن ممثلي النقد أيضا في هذه المرحلة السيخ حمزة فتح الله بكتابه "المواهب الفتحية" حيث تتجلى آراؤه من خلال المحاكمات العشر كما سماها والتي قارن من خلالها بين مقطوعات وأبيات بعض الشعراء كمقارنته بين المتنبي والبحتري وأبي تمام مثلا والتي جارى فيها النقاد القدماء وحرص على آرائهم في النقد[2] فكان نقده لغويا إعرابيا، وتبين أصل معنى البيت وشرح اللغويات، ومن هذه المقارنات مقارنته بين مطالع القصائد التالية لابن عنين الدمشقي:

ما كل ما بسمى بالعزيز لها أهل ولاكل برق سحبه غدقه

بين العزيزين بون في نعالهما هذاك بعطي وذاك يأخذ الصدقة

وبين قول ربيعة الرقي:

لشان بين اليزيدين في الندى بزيد سليم والأعزبن حاتم

بزيد سليم سالم المال والفتى أخ الأزد للأموال غير مسالم

فهو يرى في مجمل قوله أن قول الدمشقي "ما كل ما نسمي بالعزيزلها"

وهو يقصد أنه ليس كل من اسمه العزيز أهل لهذه التسمية وشأن بين هذا وبين قول الرقي:[3]

لشأن ما بين اليزيدين في الندى "فكان نقده كليا عبارة عن مقارنات لفظية ومعاني ألفاظ وإعرابها في محل الشعر الذي قاله كل من الشاعرين.

ومقاييس الشيخ حمزة في النقد يمكن تلخيصها كالآتي:

صدق الكلام، كثرة المعنى في قلة اللفظ، ملاحة المعنى ودقته وضخامته وجودة التعبير وسلاسته، وعذوبة الألفاظ وفخامتها وتخيرها ومناسبتها لموضوعها وتجنب تكرارها

[1] عز الدين الأمين نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر ص19 ط 2.
[2] عز الدين الأمين نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر ص25 ط 2
[3] محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، سابق ص20 – المرجع نفسه

والإحتكام على ذلك للذوق والسليقة ومن صور النقد القديم أيضا في أواخر القرن التاسع عشر، المويلحي

محمد كنقده لديوان شوقي أحمد الذي كان في مجمله لغويا وبيانيا، فتطرق لأجمل قصائده وزيف منها بيت القصيدة والذي مطلعها المحفوظ الذي يقول فيه شوقي:

خدعوها يقولهم حسناء والغواني بغرهن النناء

فالخداع – كما يقول المويلحي لا يكون بذكر الحقيقة، وإنما يخدع المرء بما ليس فيه ومؤدى هذا البيت عند المويلحي أن المحبوبة قبيحة وشوهاء ويخدعها الناس بقولهم حسناء، وهو لا محالة خلاف لما يريده شوقي لمحبوبته.[1]

ومن هذا القبيل اللغوي خطؤه في (آنة صعد) وفي (غازلا) والصواب هو (آونة)، و(متغزلا).

فالأولى ليست مفرد آن كما وهم شوقي وإنما هي جمع الأوان، أي الوقت والحين ،و(الغازل) اسم فاعل من غزل يغزل وهو الناسج لا المشبب كما يريد شوقي، ومنه أيضا الخلط بين الملكة والسليقة فالملكة للناس جميعا والسليقة للعربي خاصة كقول الشاعر: "لكن سليقي أقول فأعرب" وهو مالم يلتفت إليه شوقي حين أخلط بينهما فقال في وصف أبي فراس "سليقة الشاعر وملكة العربي"[2]

وهذا ما كان لغويا عند المويلحي أما البياني منه نأخذ موقفه من:

"حف كأسها الحبب التي قالها شوقي في إحدى حفلات الرقص في قصر الخديوي وكان إعجاب الناس بها بالغا حتى أن شوقي وفد بها على الشيخ علي دلا وإعجابا لكن المويلحي يلحقها مع "خدعوها" فوجد نفسه أمام صورتين لا يستقيم بهما بيان، الأولى قوله في الغير الرواقص.

أقبلت شموس ضحى مالهن منتقب

الظلام رابتها وهي جيشها اللجب.

وهي صورة لا تستقيم في النظم السلم، فالشمس لا يستقر معها الظلام والصورة الثانية قوله عن الخديوي:

---

[1] أنظر مختارات المنفلوطي ص102 ط4 عام 1904.

[2] المرجع نفسه ص140.

فهو بينهم عمر والوفود نندب.

ووجه النبو عند المويلحي في تشبيه الخديوي وقصة ولهوه بعمر بن الخطاب.

وهذا لا يصح جال إلى أن يكون المقصود بعمر هنا عمر بن أبي ربيعة فالحال به أشبه، وكلا التشبيهين أسقط، فالصورة الأولى افتراء على بن الخطاب لا يقبلها الناس فضلا عن الأمير والثانية زراية بالخديوي يموجها الذوق السليم".[1]

وبعد هذه الدراسة لنا أن نقول أن النقد الأدبي خلال القرن التاسع عشر، كان نقدا لغويا ذاتيا معتمدا على الأدب العربي القديم، لاسيما الجاهلي منه متخذا منه المثل الأعلى الذي ينبغي أن يحتذيه النقاد، وبقي متخذا لهذا المذاهب إلى أن أنقضى القرن التاسع عشر وأطل القرن العشرين فبدت بوادر مذاهب جديدة في النقد نتيجة عوامل ستكون موضوع دراستنا في الفصول القادمة.

[1] المنفلوطي، مختارات المنفلوطي ص158، الطبعة 4 1904.

الفصل الأول

أهم العوامل المؤثرة
في نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر

1- الإتصال بالأجانب وأثره في النقد:

إذا أخذنا موضوع الاتصال بالأجانب كعامل خدم النهضة الفكرية العربية المصرية، فلابد من أخذه من راوية انفتاح المجتمع المصري واتصاله بالعديد من الحضارات والشعوب، اقتصاديا واجتماعيا وفكريا وأدبيا، بالعكس عن اتصالهم بغيرهم قديما حيث كان اتصالهم بالحضارة الأوروبية حديثا اتصالا مباشرا وكانت حملة نابليون من أهم العوامل التي ساعدت المصرين على الانفتاح والتفتح

إن هذا الأخير "حملة نابليون والاتصال بالأجانب" كما قال به عز الدين الأمين في كتابه نشأة[1] النقد الأدبي الحديث وتطوره في مصر وأنه هو العامل الرئيسي في نشأة النقد والتفكير الأدبي الصحيح، حيث أخده على رأس العوامل التي درسها والتي كان لها الدور في نشأة الآداب وتطور أنواعها بصفة عامة، والنقد بالصفة الخاصة.

1- حملة نابليون:

كما أشرنا سالفا فإن لحملة نابليون دور كبير في انفتاح المصريين على الحضارات والثقافات الأجنبية وبخاصة منها الأوروبية، حيث كانت هذه الحملة بعد عهد الأتراك عهد الظلم والظلمات على الساحة المصرية الاقتصادية والاجتماعية، وانعكس ذلك أيضا على الحياة الثقافية والأدبية، حيث ساد الجهل فشهدت مصر ركودا في جميع المجالات ، وفسادا وانحلالا خلقيا، تجلى في حياة القصور وتحت سقف السلطة العثمانية، بإستثناء النشاط الضئيل للأزهر الشريف إلى أن جاء الغزو الفرنسي لمصر، والذي كان بخلاف ما كان من قبل من حروب صليبية. فكانت حملة نابليون عبارة عن غارات هدفت إلى فش الثقافة الغربية ونشر العلوم في العالم الآخر أو الشرق بصفة عامة ومصر بصفة خاصة.

كانت حملة نابليون سنة 1789م حيث نزلت جيوش نابليون بمصر، بوجه المبشر أو المعلم أو المحرر الذي يهدف إلى تحرير العقل المصري من أثار القديم البالي وبعث النشاط التجاري وبث الآداب والعلوم.

[1] عز الدين الأمين نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر ص45 ط 2

فتغيرت الأحوال وخاصة منها الأدبية أو أننا نخص منها الأدبية على الرغم من أننا لا نستطيع أن نفصلها عما يجري في الساحة المصرية حيث دفعت حملة نابليون عجلة السير الأدبي أو الإبداع بصفة عامة. فظهرت بوادر النشأة النقدية وظهرت بوادر النهضة.

نشأت الرؤى الجديدة وظهرت الحركات التجديدية الأدبية وكانت لأسباب جزئية عديدة أولها الاتصال المباشر بالأجانب الفرنسيين، هذه الأسباب غيرت من اتجاهات النقد ومذاهبه ومقاييسه فكشفت عن نقد المصريين، وعن ذوقهم الأدبي، وقدرتهم على معرفة الأدب الصحيح والتميز بينه وبين الأدب الرديء ،وما بالنصوص من حسن وجمال أو ما بها من قصور أسسوا تاريخا للنقد الأدبي فأمتد أثرها إلى دور العلم والأدب، فكانت حملة نابليون خيرا على الساحة المصرية لما كان لها من أثر في نشأة النقد و الفنون الأدبية الأخرى، إذ فتحت عيون المصريين وعقولهم على حضارة جديدة بهرتهم وأعدت أنفسهم لقبول الجديد ، فجعلت من المصري نموذج للإنسان المتحرر والواعي والمتفتح على الآخر، فأيقظت هذه الحملة البلاد من سباتها العميق. "فأخذ المصريين ينظرون دهشة إلى دنيا حافلة بالجديد في نظم العيش ووسائل التغلب على قوى الطبيعة وتذليلها للإنسان بالمخترعات وفي نظم الفكر وعالم المعاني والآداب. وما خلفه أدباء الغرب من صور دبجوه من كتب ونظموه من شعر، وسطروه من علم مبني على التجارب الممحصة ومن حقائق مؤبدة بالبراهين الساطعة"[1] هذا كله كان مع حملة نابليون وما صاحبها من شعب ذو حضارة راقية، ووعي بارز ظهر مع فكرهم وعلمهم أي الأوروبيون الذين أتوا مع نابليون.

وبالرغم من أن هذه الحملة لم تغد نوعا ثانيا من الاستعمار، بخروج مصر من تحت السيطرة التركية إلى السلطة الفرنسية، إلا أن هذا الاستعمار كان محوا للقديم وبعثا للجديد على الرغم من قصر أمدها وكان أثر الفرنسيين في خلق القيادات الشعبية، ذات السياسة الواضحة والفلسفة القومية، وشحذ النفوس ودفعها إلى إنقاذ البلاد فكانت هذه القيادات مظهرا من مظاهر النهضة الفكرية، والحث على التحرير بظهور الوعي القومي وحرية المصريين في اختيار الوالي الذي يجمع كلمتهم ويحسن تمثلهم، وإحياء ما أندثر من القديم كلها نتائج الحملة على مصر، كما قام نابليون بمجهود واسع النطاق حيث "أشأ مسرحا للتمثيل

[1] عبد الرحمان شعيب، المتنبي بين ناقدية في القديم والحديث، ط4، ص106.

والمدارس لأولاد الفرنسيين وجريدتين ومصانع ومعملا للورق، وأسس مراصد فلكية، وأماكن للأبحاث الرياضية والنقش والتصوير في حارة الناصرية، وأمسس مكتبة عامة يفد إليها كل من يريد المطالعة وكان بها عدد كبير من الكتب العربية".[1]

بالإضافة إلى القيادات الشعبية التي أنشأها نابليون وما كان لها من أثر على نفوس المصريين، كان لهذه الحملة أثر آخرا تمثل في إيقاف المصريين على معالم التجديد وأثار النهوض الفكري الأدبي كما أشرنا سابقا، فكانت هذه الحملة فاتحة عهد جديد وإن كانت تلك الحملة شرا أريد بالبلاد، حيث يفتح لها الخير فأحيى ما أندثر من القديم وخلصت النفوس من قيود الجهل والظلم حيث قال عبد الرحمان شعيب: "والذي أحيا فينا شعورنا بمسؤوليات نحو أنفسنا أحيا فينا شعورنا بما لنا من ماض تليد. وعلى ضوء هذا الماضي وذلك الحاضر. سرنا نشق طريقنا في الحياة من جديد".[2]

فبخروج الفرنسيين من البلاد وعودة السلطة للأتراك كان هناك وعي قومي حرر الذات المصرية ودفع روادها إلى اختيار ما ينفعهم فاختاروا الوالي منهم، وكان إسماعيل كما أشرنا سابقا هو أول حاكم اختاره الشعب المصري، فكان قائدا وباعثا للحياة الفكرية، السياسية والاجتماعية والعلمية والأدبية المصرية فعنى بالجيش وبعث العلوم، وهيأ الساحة لقبول العلم الجديد، فدعى المعلمين وبعث البعوث إلى الخارج فكان من رواد النهضة المصرية.

"ولذلك كانت الحملة الفرنسية خليفة أن تكون في تاريخ مصر أشبه بنهاية القرون المظلمة وبداية العصر الحديث، لولا ما شابها وتبعها من مقومات استعمارية، عبثت بالحياة العامة والحياة الأدبية والفكرية تبعا لذلك مما لا تزال مصر تعاني بعض عراقيله إلى الآن".[3]

ولهذا كانت الحملة الفرنسية على مصر بمثابة الشرارة التي دبت على أثرها حرارة الحياة في الساحة المصرية والعربية بصفة عامة، ومن أثارها الجماعة العلمية التي أتت مع نابليون إلى مصر والتي كان لها أثر بالغ على الساحة الأدبية والعلمية، والتي طبقت برنامج القائد فنظمت الإدارة وأنشأت الدواوين في المدن الكبرى والتي كان للمشايخ فيها يدا.

---

[1] راجع، عبد الرحمان شعيب، المتنبي بين ناقدية في القديم والحديث ص262.
[2] المرجع نفسه، ص263.
[3] الأمين عز الدين، نشأة النقد وتطوره في مصر، ص36.

كما جلب نابليون معه المطبعة والتي كانت تطبع منشوراته بالعربية ولم يعرف المصريون من قبل ما يسمى بالمطبعة ،وقد أنشأت مدرستان لتعليم أبنائهم وصحيفتين فرنسيتين، ونشرة بالعربية لإذاعة ما كان بالديوان والتي كان محورا لها لإسماعيل الخشاب، وأنشأ معا ملاكيميائية أدهشت المصريين بما كان يعرض فيها من تجارب تراءت لهم سحرا.

وأشأ أيضا دورا للبحوث، ومكتبات عامة فرنسية، وعربية تردد عليها مصريون وفرنسيون ،إضافة إلى ذلك المجمع العلمي المصري، الذي أنشئ على غرار المجمع الفرنسي، الذي هذف إلى نشر المدنية، وبعث العلوم والمعارف بمصر، ونشرها عن طريق مجلة المجمع. فأتاح الفرصة إلى الامتزاج الثقافي بين الحضارات والأمم المصرية والفرنسية فمن الحركة الثورية في الأدب الفرنسي نشأت على مثلها في الأدب العربي المصري[1] الرومانسية كمذهب أدبي.

الاحتلال الإنجليزي والأدباء الغربيون:

لم يكن اتصال المصريين بالأجانب مقتصرا على الفرنسيين وحدهم وإن كانوا من الأغلبية الساحقة بل كانت هناك أيضا اتصالات بالأجانب منهم الإنجليز والافرنجة من اليونان وايطاليا، حيث تجسد هذا الاتصال في علاقة المصريين بالجاليات من هذه البلدان فكان الاحتكاك والامتزاج بينهم في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ونماذج الحياة العقلية.

فلاحتلال الإنجليزي ساهم ولو بصفة غير مباشرة في خلق جو ملائم لثورات تحررية،[2] وفكرية وبعث الروح الوطنية التي ساهمت في اقتحام الأدب والنقد في الثورات التي قام بها المصريون ضد الإنجليز، وقد ساهم البريطانيون في تطوير الحياة الفكرية عن طريق منافسة الفرنسيين والصراع القائم بينهم في بعث الحياة العلمية والأدبية بمصر، وفي هذا قد ذهب الباحث عبد الرحمان شعيب في قوله عن الاحتلال الإنجليزي: لكن مصر منيت بعد ذلك بالاحتلال الإنجليزي سنة 1882 وازداد نفوذ الإنجليز في البلاد العربية، وطالت إقامتهم بمصر والسودان والعراق واليمن وغير ذلك ففرضوا اللغة الإنجليزية على تلاميذ

[1] المرجع نفسه ص39

[2] عب د الرحمان شعيب، المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث، ط4 ص264-266.

المدارس ولذ اتصل الأدب العربي والفكر الغربي في هذه البلاد اتصالا مباشرا بالأدب الإنجليزي والفكر الإنجليزي[1]

كما يذهب شوقي ضيف إلى ما ذهب إليه عبد الرحمان شعيب فقال: ولابد أن نشير أثناء الاحتلال الإنجليزي: حاول الإنجليز جاهدين أن يعلو ثقافتهم بديارنا فوق الثقافة الفرنسية وغيرها من الثقافات الأوروبية، فحينا يجعلنها لغة العلم والتعلم وحينا يجعلون البعثات جميعا إلى بلادهم ، قد أقبلت على ديارنا طائفة من البعوث الدينية الغربية المختلفة وأسست كثيرا من المدارس في القاهرة والإسكندرية وغيرهما من عواصم القطر المصري وكان لها أثر في الحياة الثقافية "كما كان للفرنجة الآخرين أكبر الآثار في النهضة الأدبية والفكرية والعلمية، إذ أنهم ألقوا المصريين ،فتعايشت ثقافاتهم وخاصة في عهد إسماعيل أين كان امتزاجهم بالغربيين واضحا وجليا، كما زاد اتصالهم بالمصريين فدرسوا آدابهم وعلومهم فظهر على الساحة المصرية الأدبية والنقدية كان تأثريهم بارزا في إنتاجاتهم الأدبية وفي هذا ما يقوله حلمي مرزق عن العقاد: "كان عزال صروف للدعاية السياسية فأخرجه من ميدان الخصومة وليكسبه من كرامة العلم وولاء مشتركا نتفق عليه مع زملائنا الخرجين من المدارس الإنجيلية."[2]

وهؤلاء قد جعلوا من مصرا امتدادا للحضارة الأوروبية وهكذا اكتسبت الفرنجة بيئة شرقية بأكملها وأصبحت واقعا للحياة المصرية بأهدافها وغاياتها، وكان إيمانهم بالحضارة الغربية إيمانا تاما، فأعجبوا بها وصدقوا كل شيء عنها، فكونوا شخصياتهم على غرارها وأنهم كانوا مؤمنين بأنهم عرفوا أنفسهم مذ عرفوا الحضارة الغربية فيقول حوراني المشكلة الأولى بالقياس للطهطاوي وخير الدين على الرغم من اختلافهم في التعبير عنها هي كيف يصبح الإنسان فردا في العالم الحديث بينما يظل مسلما؟ لقد استمروا على الطرق التقليدية التي كانوا كانوا يسيرون عليها قبل الاتصال بالحضارة الفرنسية فكان عليهم في كتاباتهم للمسلمين العرب الآخرين الذين لم يصيبوا مثل هدا الاتصال بالحضارة الفرنسية وقوله: أما المسيحيون الناطقون بالعربية والذين وصلوا أنفسهم بأوروبا خلال مدارس المبشرين

[1] محمد عبد الرحمان شعيب، المتنبي بين ناقدية في القديم والحديث، ط4 ص264 -266.
[2] حلمي مرزوق تطور النقد والفكر الأدبي في النصف الأول من القرن 20 ،ص355. دون طبعة.

والتجارة، فلم تكن عندهم هذه المشكلة بل كان وضعا طبيعيا بالقياس إليهم، فأوربا لم تكن أجزائهم كما كانت بالقياس إلى المسلم، فلم يكن ينتابهم في قبول أفكارها ومثلها وطرقها التي يحتاجون إليها هذا الشعور المتعلق بأنهم غير مخلصين مع أنفسهم ولم يكونوا في حاجة إلى أن يبرروا وضعهم عند زملائهم وأحفادهم، وبهذا كان شعور مقلقا لدى المصريين، بدأت تخرج عنه فئة لم تقدم على هذا العهد الدعوة إلى القيم الأوروبية والتفافها مع السوريين في عملية الفرنجة أو التعريب.[1]

[1] عبد الرحمان شعيب، المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث ط4 ، ص271.

اتصال المصريين بالحضارة الغربية الأخرى:

لم يقتصر اتصال المصريين بالأجانب على الفرنسيين والإنجليز، إنما تعدى ذلك إلى اتصالهم بالأمريكان وذلك حين صوبت أمريكا نظرها إلى الشرق، فأنزلت جالياتها بكل الأمكنة الحيوية بمصر فأنشأت الجامعات الأمريكية بمصر على ما قامت به البلدان العربية الأخرى كسوريا ولبنان، فكان أثرها على الحياة المصرية باديا ومتجليا في كل المجالات من اقتصاد، اجتماع وأدب.

كما كان الاتصال أيضا بالروس مباشرا وبآدابه وآداب العالم، فوقف المصريون على التيارات الفكرية والأدبية والمذاهب النقدية وهذا ما سنلاحظه مع البعثات العلمية، وعلى هذا الطور كان تأثر المصريين بالغير جليا فأخذوا من مناهج الأوروبيين وغيرهم في الأدب والنقد فعرفوا الرومانسية والتي تعد في جوهرها ثورة تحريرية بالأدب وعرفوا أيضا الواقعية التي تسعى إلى تصوير الواقع وكشف أسراره وإظهار خفاياه وأن الواقع لا يمكن في تلك الأغلفة التي لا تكاد تخفي الوحش الكائن في الإنسان هو ذلك، الوحش الذي عبر عنه هوبز إن الإنسان ذئب ضار.[1]

وعرف المصريون الطبيعية والرمزية فاختلف الأدباء في حظهم من الثقافتين العربية والغربية، فمنهم من غلبت عليه النزعة الغربية حتى أنه لا يكاد يدين بالعربية ومنهم من كان محاكيا للعربي الأصيل والأسلوب القديم وهذا ما انعكس على النقد الأدبي فكان لمناهج مغايرة عن التي كانت سائدة من قبل فظهر التيار المتأثر بالفلسفة الغربية فاتجه الوجهة العلمية الفلسفية وكان ممثلا لهم العقاد وفريق آخر – أو اتجاه آخر – اتجه الوجهة العلمية الفنية وهذا ما كان مع طه حسين وكان الرافعي بمنهجه أو مذهبه البياني.

وهكذا غلبت النزعة الغربية على الأدب العربي والنقد بمصر فكان التجديد ظاهرا ومتجليا لديهم فنشطت العناصر الثقافية اللغوية النقدية والأدبية فصار نقدهم ممنهجا فتعدت البحوث ونقد الأدب حيث يقول محمد عبد الرحمن شعيب: "إن هذه التيارات الأدبية والمذاهب النقدية من أوربية أمريكية وروسية وتلك العناصر الثقافية من نفسية فلسفية وموسيقية ولغوية غيرت

[1] عبد الرحمان شعيب المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث ص272.[1]

من طريقنا في تناول الأدب وغيرت من مزاجنا النقدي وذوقنا الأدبي، ومن أجل ذلك آثرنا أن ننزل على منطق الواقع ونخضع لطبيعة الأشياء".[1]

البعثات العلمية:

كما أشرنا سالفا في موضوع الاتصال بالأجانب عند المصريين فإن البعثات العلمية كانت وسيلة أو باعثا للاختلاط، والامتزاج الثقافي والأدبي المصري والغربي.

وقد كان لهذه البعثات العلمية دور في نشأة النقد وتطوره وإيجاد صورة جديدة للنقد العربي بصفة عامة، والنقد المصري بصفة خاصة وهذا ما قاله عز الدين الأمين في كتابه وأن لهذه البعثات دور في نشأة التفكير الأدبي الجديد وتطور النقد بخروجه عن المألوف القديم أو النهج البلاغي الذي كان من قبل حيث أن المصريين قد تطلعوا للعلوم والآداب الغربية، وتداخلها في بعضها البعض ومن الذين أولو الاهتمام بتلك البعثات محمد علي الذي فكر في إرساليات إلى أوروبا ،فكانت أول الأمر في تعلم الفنون العسكرية فأرسل البعثات إلى أوروبا ليقوم أبنائها فيما بعد بمطالب الجيش والتدريس في تلك المدارس التي هي في خدمة الجيش ،وقد تعددت البعثات وتنوعت بين هندسية وطبية وزراعية وصيدلية وقانونية وسياسية وكيماوية. كما كان منها بعثات للتخصص في الطباعة والحف والميكانيكا وغيرها.[2]

فعني بأبناء بعثاته وترقيتهم في الخارج ،لكن هذه البعثات ،ومع تطور الأحوال المصرية تحولت لتصير عبارة عن اتجاه علمي فأرسل محمد علي استقدام الأساتذة والعلماء.

كانت فرنسا مقصدا وقبلة الطلاب باعتبارها الدولة الأوروبية الأكثر ثقافة، وهي عاصمة الثقافة العالمية وروادها من أكبر رواد الحركة التجديدية، التي صحبت ثورة 1919 – الثورة الفرنسية – وفي هذا ما يقوله مندور: "وذلك إن الفرنسيين اعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين الحقيقيين لأتيكا وهي المقاطعة التي تقع في مدينة أثينا والتي ظهرت فيها عيون الأدب والتفكير الإغريقي، وتميزت بروح خاصة لا تزال تعرف بالروح الأتيكية، ولا يزال الفرنسيون يفتخرون بأنهم ورثة تلك الروح.[3]

---

[1] نفس المرجع، ص283.

[2] جورجي زيدان تاريخ أداب اللغة العربية ج4، ص19 طبعة جديدة.

[3] محمد مندور الأدب ومذاهبه ص41، المتنبي، بين ناقدية – عبد الرحمان شعيب ص270.

أما رغبة محمد علي الجامحة في تكوين جيش قوي يحميه ويحمي ولايته أوفد جماعة من أولائك المماليك إلى ليفزون وميلان وفلونسيا وروما سنة 1912 لدرس الحركات العسكرية وبناء السفن وغيرها من الفنون الحربية أشار عليه بذلك الأساتذة الإيطاليون، وكان قد بدأ بإرسال الطلبة لهذه الأغراض منذ 1813 ثم إرسال شبان إلى إنجلترا سنة 1818 لدارسة الميكانيكيات.

وهكذا كان محمد علي أول من عرف البعثات العلمية وكما علمنا فقد اقتصرت أول الأمر على أمور الجيش ولم تتجه اتجاها مدنيا كما أنها غيرت بأبناء الأتراك والمماليك وكان حظ أبناء الشعب منها ضئيلا كما أنها اهتمت بالجوانب العلمية والمادية، وأهملت الجوانب النظرية والأدبية.

فحاجة محمد علي إلى من يساعده على خدمة مملكته والدفاع عنها، وعن مكانته جعلته يفكر في إرسال أول بعثة علمية في حاجة محمد علي وجيشه إلى أطباء وصناعيين أملا في الإصلاح وتعميم سلطته موجها نظره إلى فرنسا فأختار بضعة وأربعين شابا من أمم مختلفة عهد بإدارة شؤونهم إلى المستشرق جومار وعين لكل جماعة منهم العلوم التي يتعلمونها، وهي البعثة الأولى ولكنها في اعتبار بعض المؤرخين هي البعثة الثالثة حيث أنه كانت قبل هذه البعثة بعثتان أولهما لإيطاليا سنة 1813 والثانية إلى فرنسا سنة 1818.[1]

وهكذا أصبحت أوروبا مقصدا لطلاب البعثات العلمية، التي تلت بعثة محمد علي فبلغ عدد الذين أرسلوا إلى أوروبا أفردا وجماعات بين سنة 1813 – 1849 – 319 شخصا ،أنفق عليهم 223233 جنيها، فاتخذ منهم محمد علي أدباء معلمين ومترجمين لمدارسة وأطباء لجنده وموظفين لحكومته وعمالا في إدارته.[2]

كان عصر محمد علي خطوة لتتطور بعده هذه البعثة لتشتمل كل الجوانب العلمية إذا أدرك المصريون أهميتها بعد تفتحهم على الثقافة الغربية، وآدابها وكانت أوروبا مقصد الطلبة من الأزهريين والمتعلمين ،فنهلوا من الآداب الأوروبية وحملوا لواء التجديد فعرفوا لغات الغرب ومظاهرهم الثقافية، فهؤلاء المثقفون سيقومون هم وتلاميذ تهم بريادة التيار الثقافي الجديد والتبشر حياة أدبية جديدة.

[1] أنظر أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر الطبعة 2 –ص59.
[2] جورجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، ص21.

وفي عهد محمد علي ابن محمد علي زاد حجم البعثات العلمية إلى الخارج إلا أنها اقتصرت هذه المرة على الطلبة النجباء والمتخرجين من المدارس الكبرى لكنهم كانوا يجهلون لغة البلاد التي أرسلوا إليها، فتقرر إنشاء مدرسة فرنسية مصرية في باريس لتعليم هؤلاء وكان مديرا لها أسطفان بك – من تلاميذ البعثة الأولى – كما أرسلت مصر نحو أربعين طالبا فيهم جماعة من أمراء العائلة الخديوية.[1]

ثم اشد اتصال المصريين، بالثقافة الأوروبية الحديثة بزيادة عدد البعوث إلى أوروبا حيث تطورت هذه البعثات عهد إسماعيل الذي شغف بالثقافة الغربية، منذ درس بأوروبا لما كان من ضمن الذين بعثوا مع بعثة محمد علي في أول بعثة فأعاد فتح المدارس وإنشائها ثم عاد إلى إرسال البعوث للتعلم بأوروبا .فكانت النهضة وتطورت الآداب والعلوم وظهرت اتجاهات جديدة حيث اندمج هؤلاء بالحضارة الأوروبية اندماجا مباشرة، فتأثروا بعوامل تلك البيئة فدرسوا آدابها ولغاتها فكانوا مؤثرين على الأدب العربي والحياة الفكرية العربية فأرادوا أدبا جديدا فكانت خطوة جديدة في حياة النقد الأدبي المصري.

لقد استفادت مصر من جهود هؤلاء المبعوثين لنقل علوم الأوروبيين وآدابهم ومن أبرز هؤلاء الذين أسهلوا في تطوير العلوم والآداب العربية بظهور اتجاهات عديدة في الأدب ثم النقد والعلوم الأخرى رفاعة رافع الطهطاوي وعلى مبارك ومحمود الفلكي.

[1] أنظر جورجي زيدان، تاريخ أداب اللغة العربية، ص23.

رفاعة رافع الطهطاوي:

من عماد الأدب واللغة والدين ومن أعلام النهضة الحديثة زكاه الشيخ محمد المرصفي ليكون إماما للبعثة العلمية الموفدة إلى فرنسا فعلم الفرنسية وشارك أعضاء البعثة في درسهم فكان رائدا في الترجمة ودراسة التاريخ والجغرافية والادب والرياضيات والطبيعيات والقوانين.[1]

وعلى الرغم من أن رافع الطهطاوي لم يكن متقنا للتحدث بالفرنسية إلا أنه استطاع فهمها فأهتم بالأدب الفرنسي فقرأ للعديد من الأعلام الفرنسيين أمثال فولتير ورسو وراسين وغيرهم كما أخذ من المستشرقين وأخذوا منه وبعد عودته إلى مصر عين مترجما في مدرسة للطب ومدرسا للترجمة بالمدرسة الفرنسية فعهد إليه بترجمة العلوم الهندسية والفنون الحربية، ثم أسند إليه أمر نظارة مكتبة المدرسة التجهيزية بالقصر العيني والتي تضم العديد من الكتب والمجلدات ومعظمها كان بالفرنسية والإيطالية فعني بالتعليم والتأليف ثم أسندت إليه رئاسة مدرسة الألسن ،والتي سرعان ما أغلقت عهد عباس. فنقل رافع الطهطاوي إلى السودان لإدارة مدرسة ابتدائية. ثم عاد رفاعة إلى مصر عهد سعيد فعين ناظر للمدرسة الحربية ثم رئيسا لها ،فأحدث الكثير من التغييرات بحيث أدخل فيها الكثير من العلوم المدنية ليعوض بها مدرسة الألسن، فكان بها قلما للترجمة إلى أن عطل عمله على يد سعيد فظل بدون منصب لكنه عهد إسماعيل عين عضوا في قومسيون الديوان، ثم اختير ناظرا لقلم الترجمة بعدها أصبح ناظر لصحيفة روضة المدارس.[2]

وهكذا كان رافع الطهطاوي علما من أعلام التطور الثقافي والأدبي بمصر الحديثة، إذ عني بالتعليم والترجمة والتأليف بإدخال المناهج الجديدة التي ساعدت وأسهمت في تطور التفكير الأدبي المنهج والمطبوع بصفة الغربية، فكون جيلا متأثرا بنزعة المتأثرة بمناهج الغرب وآدابه ،وفلسفته وعلومه فكان له فضل كبير وجهود كثيرة. "ولم يقتصر بمجهوده على الترجمة والتعليم فقط بل حث على طبع طائفة من أمات الكتب العربية على نفقته كتفسير الفخر للرازي ومعاهد التنصيص وخزانة الأدب وغير ذلك" "ويعتبر رفاعة رافع الطهطاوي كأول من نادى بالقومية المصرية فكان مؤلفا للشعر الداعي إلى الوطنية إذ أنه يعد

[1] نظر أحمد هيكل: تطور الأدب الحديث في النصف الثاني من القرن 19إلى الحرب ع2 ط2، 1981 ص32.
[2] الأمين عز الدين، نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، ص63.

أول من جدد في الشعر العربي المصري فنهض به وبالأدب في العصر الحديث ويعد شعره انتقالا إلى الأدب الجديد الذي حمل لواءه البارودي وصبري وشوقي وحافظ وغيرهم" وأغلب الظن أنه لو تفرغ للأدب والشعر دورن الترجمة والتأليف العلمي لبلغ في الأدب شؤونا أعظم مما بلغ[1] ومن نماذج شعره الوصفي الذي نظمها في الوطنية أو القومية والحماسية تلك التي أتت متناثرة في قصائده كقوله:

ولئن حلفت بأن مصر لجنة وقطوفها للفائزين دواني

والنيل كوثرها الشهي شرابه لأبر كل البر في أيماني

ومن أناشيده الحماسية نذكر قوله:

بأبها الجنود والقاد الأسود

إن أمكم بعودها مي المدمع

فكم لكم حروب بنصركم تؤوب

ولم نأمكم خطوب ولا اقتحام معمع.[2]

وهكذا كان رفاعة رافع الطهطاوي أول رائد للشعر الوطني، والنشيد بصفة خاصة والتي ربما كان تأثره فيه بالنشيد الفرنسي الذي ترجمه ضمن آثار الفكر الفرنسي.

وهكذا يصبح رفاعة رافع الطهطاوي نموذجا عن الذين أفادت منهم مصر في حياتها الفكرية والأدبية حيث طور التعليم والترجمة وأخذ من علوم الغرب فكان نموذجا يحتذي به وكان علامة عصره رفقة العديد من زملائه وأصحابه.

علي مبارك:

هو من أعلام النهضة الحديثة في مصر بما تم على يده من تنظيم المدارس ودار الكتب العصرية في زمن إسماعيل الخديوي ما بعده.

وكان علي مبارك من الموفدين من فرسنا، في بعثة 1260 هـ، وبعد عودته إلى مصر كان له دور كبير في الساحة الأدبية والفكرية المصرية، فخدم اللغة العربية بتأسيس المكتبات، وهو الذي أسس دار العلوم ودار الكتب، وأسهم في التأليف والطباعة وصيانة ما بقي من الكتب التي ضاع منها الكثير على يد الجهلة من الباعة والبقالين، وانشغاله ينقل ما

[1] أنظر عز الدين الأمين، نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، ص64.

[2] نظر أحمد هيكل: تطور الأدب الحديث في مصر، من أوائل القرن 19 إلى بداية الحرب العالمية الثانية، ص36.

بقي من هذه الكتب إلى دار الكتب المصرية قد صانها من الضياع وأضاف إليها ما كان في خزانه الأوقاف الخيرية وكثيرا من الآلات الهندسية والرسم ونحوها.

كما يرجع له أمرا بإصدار الامر بإنشاء دار الكتب المصرية فنضمها وقد وضع قانونا لها كما كان بالدار مكان للتدريس وتلقين العلوم والمراجعة فيها لأوقات معينة، وكانت أول الأمر تابعة لنظارة الأوقاف وأصبحت تابعة لنظارة المعارف.

وكان علي مبارك موجها للتعليم عند أشرافه على معاهد التعليم فكانت سياسته واضحة في الارتقاء باللغة العربية، وثقافتها وعلومها، وخاصة حين اشترك في قومسيون المعارف، ووضع لائحة لإصلاحه والتي اشتهرت بلائحة رجب 1274هـ.

كما أنشأ معملا للكمياء والطبيعة بدرب الجماميز لفائدة التلاميذ في العلوم الطبيعية وأنشأ روضة المدارس رفقة الطهطاوي.

وهكذا تطور التعليم بمصر وصار بمناهج غربية كما أن دار العلوم كانت نوعا من المزاوجة بين الحضارة والثقافة الغربية الأوروبية وحضارة الثقافة المصرية العربية.

ولعلي مبارك مؤلفات عدة أهمها:

1- **الخطط التوفيقية:** وهي من أهم الكتب التاريخية، والجغرافية، وصف بها مصر وبلادها وخططها ومدارسها وجوامعها، قلد فيها أسلوب المقريزي في خططه وجعلها تكملة لها ورتب البلاد والشوارع وغيرها فيها على الأبجدية.

2- **علم الدين:** وهو رواية دينية عمرانية في عدة مجلدات طبعت عصر.

3- **خلاصة تاريخ العرب:** وهو ترجمة كتاب سديوني تاريخ العرب وآدابهم طبع بمصر سنة 1309هـ.

وعلى الرغم من أن علي مبارك قد خص في بعثتة بتعلم فنون القتال ألا أنه بعد عودته إلى مصر وشهادة في تخصصه فإن كان عمل النهضة الفكرية والثقافية المصرية. فكان من أعمدة التطور في مصر حيث أنه طور التعليم كما عرفنا وأصلح منظومته فكان على غرار ما كان في البيئة التي عاش فيها بأوربا فلا نغلوا أن نقول أنه عهد إسماعيل استطاع أن يحول التعليم من وجهة غربية إلى ثقافية شعبية.

وكان رفقة الطهطاوي من أعلام النهضة الفكرية يومها لغيرهم من أصحاب البعثات وإن كنوا متفاوتين في خطوطهم وأعمالهم ورغم اختلاف ميادينهم، وهم الذين كان لهم الفضل في إحياء علوم اللغة وآدابها.

فألفوا الكتب ووضعوا المناهج الحديثة التي استطاعوا بها إصلاح المجتمع المصري بقبوله للجدية فدفع بالثقافة إلى الأمام باشتداد الصلة بين العرب المصريين وبين أوربا مذ وفدوا إلى مصر فأسسوا بها الشركات والمصارف ومذ كثرت البعوث لأوربا للتطلع على ثقافات القوم الكبرى والتي مكنتهم من السيطرة على الحياة والمتعة بها "ويعود المبعوثون إلينا وقد حملوا لنا ما تزودا به من الحضارة الأوروبية".

وكان كل شيء أتوا به من علوم وآداب وثقافة سببا في أن نتهيأ حقا للتأثر بالآداب وبأعمال هؤلاء الأعلام الذين أسهموا في حضارة بلدانهم وتقدمهم الفكري بصفة عامة. فكان لما قدم به هؤلاء أثرا على أدابنا. "ومن جهة أخذنا نمرن لغتنا على أن تفي بما نريد التعبير عنه من ألوان الفكر وصور الشعور ومن جهة ثانية أخذنا في التحضر وأخذ ذوقنا يقترب من ذوق الغربيين".[1]

لكن كل هذا كان في سبيل خدمة التيار العلمي العربي ولم نؤت الثمرة المرجوة من البعوث أكلها في ميادين النقد والحياة الأدبية. بل ظلت مصر طوال النصف الأول من القرن الماضي لا تعي بالعلم الأوروبي سواء فيما يدرس وفيما يترجم فلم يظهر أثر البعوث جليا في النقد إلا عند إرسال لها أول القرن مع أمثال أحمد ضيف وطه حسين وزكي مبارك والذين تأثروا بمذاهب النقد العربية اتجاهاته فطفقوا يدعون لها ما وقفوا عليه منها قبل رحيلهم عن مصر. وهكذا كانت البعوث أول الأمر كما قلنا اشتدادا للصلة بين الغرب والشرق فكانت عاملا في تقبل الجديد الغريب وتفتح العقلية المصرية لمثل هذا – الناحية الاجتماعية والثقافية والأدبية والعلمية – وكانت تلك البعوث فاتحة خير لتطور النقد الأدبي بمصر وظهوره بمناهج جديدة كانت مع نقاد جدد تأثروا بالغرب فعملوا على نهجه، فأدخلوا مناهج جديدة لم تكن معروفة من قبل فتطورت الحياة الأدبية وكذا النقد الأدبي على غرار ما كان بالبلدان

[1] شوقي ضيف الأدب الحديث والمعاصر بمصر ط4، ص24.

الأوروبية وتجلى هذا النقد في مظاهر جديدة لم تكن معروفة كانت مع العقاد وطه حسين والمازني، وغيرهم فكل باتجاهه أو منهجه الخاص.

وخلاصة القول أن كل من الاتصال بالأجانب والبعثات العلمية التي كنوع من الاتصال والاحتكاك بالغرب حيث كان الاحتكاك عنيفا وكذا التأثير المتبادل، والذي تجلى خاصة في الفكر العربي في مظاهر النقد الجديد وخاصة في مصر مع رواد الأدب والنقد كما قلنا.

وفي هذا يقول حلمي مرزوق: "وهذه الأصداء المختلفة جهات من الفكر الأوروبي لا تستطيع أن تردها إلى سبب واحد وإنما هي أسباب النهضة الأوروبية أو معالم الفكر كله"[1] وهو هنا يربط نهضة النقد بالنهضة الفكرية الأوربية.

وهكذا كان التأثر جليا في انقسام الآداب إلى ثلاثة اتجاهات ،أولها الاتجاه المحافظ الذي ظل بغيرته على الادب العربي القديم وكافح من أجلها وفريق ثان تأثر بالفكر الأوروبي واتجه وجهة علمية في نقده ومثله العقاد والاتجاه الثالث ومثله طه حسين وكان اتجاهه عمليا فنيا، "وهذه الاتجاهات الثلاث هي أظهر مظاهر النقد في الفترة" يقول حلمي مرزوق.

[1] حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي في الربع الأول من القرن العشرين ص355.

الفصل الثاني

الإستشراق وأثره في النقد

الإستشراق وأثره في النقد:

1- جهود المستشرقين:

إن العلاقة بين الشرق والغرب قديمة جدا، وقد اتخذت هده العلاقة صور أكثيرة ومختلفة (حربية، سياسية، تجارية وفكرية أيضا). والشرق من أدنى وأوسط وأقصى لكن الشرق الإسلامي يبقى من أكبر اهتمامات الغربيين ولن نقف عند تأثير الحضارة الإسلامية في حضارة الغرب لأنة ليس من مجال بحثنا، لكننا نؤكد حضور الشرق الإسلامي من بين المشارق الأخرى كان حضور قويا عند كل حديث يتناول العلاقة بين الشرق والغرب.[1]

وكل تطلع غربي يهدف إلى معرفة الشرق وحضارته يعد استشراقا، ويعرف معجم (لاروس) الإستشراق بأنه: مجموعة المعارف المتعلقة بالشعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها وحضارتها، كما يمكن تعريف على أنه: اهتمام معرفي صادر عن الغرب يتخذ الشرق مجالا معرفيا.[2]

والمستشرقون هم طائفة من علماء الغرب تثقفوا ثقافة عربية وأتقنوا العربية، و بحثوا في الحضارة وتوارثها الزاخر وكل ما يتصل بالعروبة و الإسلام بغض النظر عن أهدافها التي كانوا يرمون إليها.

ومصر كانت قبلة لهؤلاء المستشرقين ومن هنا اعتبر الاستشراق من أهم العوامل التي أثرت في مسيرة النقد العربي الحديث في مصر ،وبدأ مع بداية الحملة التي قادها نابليون على مصر حيث جلب معه مجموعة من العلماء والمفكرين لكي يتمكن من معرفة أحوال مصر الثقافية، السياسية و الاقتصادية والاجتماعية ... وبالتالي تسهل عملية الاتصال المباشر بالمصريين.

---

[1] أنظر حسن الإمارتي المتنبي في دراسات المستشرقين الفرنسين، ط4 ص56. -
- أنظر المرجع نفسه ص 57.

لكن ما إن وشكت الحملة على الانتهاء حتى تحول هؤلاء المفكرين عن هدفهم العسكري الاستعماري إلى الاهتمام بما في مصر آداب وفلسفة ودين... كما اهتموا باللغة العربية ،واهتمامات هؤلاء الأوروبيين الدين ثقفوا عربية الإسلامية عامة ،قديمة كل القدم أي سابقة لحملة نابليون على مصر ،واهتمامهم هذا كان بهدف الاستفادة مما للعرب من إرث في مدينتهم ومحاولة منهم النهوض بأمتهم.

ففي القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر الميلادي، اهتم الفرنسيون بجمع الكتب في مختلف المجالات لوضعها في المكتبة الأهلية بباريس، كما قاموا بإنشاء مدرسة للغات الشرقية،وتوافدت على هده المدرسة البعثات من ألمانيا،روسيا وايطاليا وغيرها من البلدان ودلك لتلقي العلوم الشرقية العربية على يد المستشرق الفرنسي "سلفستير ديساسي".

وازداد هذا الاهتمام مع دخول القرن التاسع عشر ميلادي وانقسم هؤلاء المستشرقين إلى ثلاثة أبواب حيث تخصص كل في عمل معين وهذه الأبواب هي كالآتي:

1- نشر الكتب العربية .

2- ترجمتها إلى لغتهم .

3- التأليف عن الآداب الغربية في ألسنتهم .[1]

فمجهودهم فيما يتعلق بالحضارة العربية الإسلامية مجهود لا يمكن نكرانه أو نسيانه، حيث ألفوا وترجموا الكتب في كل المجالات في التاريخ، الفلسفة ، الأدب والدين ... إلى غيرها من المجالات الأخرى ومن أعمالهم الضخمة في مجال الأدب كتاب " كليلة ودمنة" و"مقامات الحريري" نشرهما المستشرق الفرنسي الشهير (سلفستير ذيساسي)، وكتاب "وفيات الأعيان" "لإبن خلكان" نشره المستشرق الألماني "وستنلفيذ".

[1] أنظر جرجي زيدان: تاريخ أداب اللغة العربية الجزء 4 ص 147.

واهتموا كذلك بدرس معاجم اللغة العربية وترجمتها ومنها معجم جرجاني عربي لاتيني، معجم فريتاغ عربي ولاتيني إلى إلى غير ذلك من المعاجم التي ألفها هؤلاء المستشرقين.

وقد نقلوا طائفة من الشعر العربي إلى اللاتينية والإنجليزية والفرنسية والألمانية، ومما نقل إلى الفرنسية ديوان الحماسة وبعض أشعار الأغاني، كما نقل ديوان امرئ القيس والنابغة وطرفة بن العبد والخنساء والبردة للبصيري وشعر الفرزدق وبعض أشعار المتبني وأبي العلاء المعري، ونقلوا إلى الإنجليزية أيضا المعلقات ولامية العرب وأشعار عنترة وديوان البهاء زهير. ومما نقل إلى الألمانية: المعلمات وديوان لبيد وتائية ابن القارض وشعر ابن القيس الرقيات وبعض ديوان أبي فراس.[1]

ولم يقف المستشرقون عند هذا الحدث بل واصلوا أعمالهم لتشمل التاريخ ومما نقلوه من كتب نجد: أبو الفداء "محضر الدول" كشف الضنون وتاريخ الطبري، والتاريخ المكين، وكلها نقلت إلى اللاتينية كما نقلت إلى الإنجليزية كتب كثيرة في مجال التاريخ منها: ابن خلكان، تاريخ الخلفاء للسيوطي، نفح الطيب، وإلى الفرنسي أبو الفداء، مروج الذهب، طبقات الأطباء، تاريخ المماليك للمقريزي.

فكلها أعمال تدل على اهتمام الغرب بالعرب وبآدابهم، محاولة منهم تعريفها لأمم أوربا، وأعمالهم هذه جعلت العرب عامة يستقدم ونهم كأساتذة بالجامعات، فالمصري محمد علي مثلا استقدم عددا كبيرا من الأوربيين ليس للمجال العسكري فحسب إنما المجالات مختلفة كالطب والصناعة والأدب فاشد الاتصال بين المصريين والمستشرقين، وبدأت بوادر النهضة نظر في مصر مصطبغة بصبغة أوربية.

[1] أنظر عز الدين الأمين: نشأة النقد الأدبي لحديث من 100.

2- أهم المستشرقين الذين وفدوا على مصر.

من أهم المستشرقين الذين أتوا مصر من أجل البحث أو من أجل التدريس في جامعتها المستشرق الإيطالي الكبير "كارلونيلينو" NILLINO CARLO ولا بأس أن تقف على حياته ولو بإيجاز باعتباره من أبرز المستشرقين الذين درسوا بالجامعة المصرية وأكثرهم تأثيرا على واقع الحياة الأدبية والنقدية في مصر.

ولد في تورينو و درس اللغة العربية بجامعتها، عين أستاذا العربية في المعهد العلمي الشرقي بنابولي، ثم بجامعة بالرمو بصقلية، ثم في جامعة روما، ليستدعى سنة 1909م من قبل الجامعة المصرية أستاذا محاضرا في الفلك، ثم في الأدب العربي، ثم في تاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام، انتخب عضوا في المجمع الملكي الإيطالي وفي المجمع اللغوي المصري، وكان يرغب في معرفة كل شيء عن العرب فاهتم بالجغرافية الفلك، التاريخ، الأدب، الفلسفة والفقه، وله آثار عديدة لا تحصى ولا تعد ومن أهم ما ألفه كتاب "تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية" وهو عبارة عن محاضرات ألقاها باللغة العربية في الجامعة المصرية في العام الدراسي 1910 – 1911م وعينت بنشر هذه المحاضرات ابنته مريم نلينو بعد وفاته وأبرز مميزات هذا الكتاب أنه تميز بالدقة في التحقيق والتمحيص، وهذه الدقة ترجع إلى رجوع المؤلف لمراجع ومصادر مختلفة ومتنوعة. وله أيضا إلى جانب هذا الكتاب منتجات عن القرآن الكريم وتكوين القبائل العربية قبل الإسلام (1893)م، ومشهد من الحياة المصرية (1895) كما صنف كتابا في قواعد ومفردات العربية العامة في مصر (1900)م، وفهرس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية لمجمع العلوم في تورينو (1901)م، ودون بالعربية تاريخ علم الفلك عند العرب القرون الوسطى وهو نص المحاضرات التي ألقاها في الجامعة المصرية، كما له أيضا تاريخ الأدب العربي إلى غير ذلك مما نشر وألف في الفلسفة والطب ...

وتناول نيلينو كذلك بلاد العرب بعد الإسلام من الناحية التاريخية والجغرافية والثقافية وقام بتعداد قبائله وقد تتلمذ على يده كثير من النقاد العرب الذين ذاع صيتهم في مصر وفي باق الدول العربية طه حسين مثلا والذي تأثر بمنهجه تأثرا كبيرا جعله يثور على ما تلقاه من دروس ومن مناهج على يد أستاذه بالأزهر.

وإلى جانب نيلينو الإيطالي نجد مواطنه "ميكل انجلو جويدي". ولد في روما وتلقى العربية على كبار مستشرقيها، عين أستاذا للعربية وآدابها بجامعة روما، ثم استدعته الجامعة المصرية للتدريس فيها سنة 1926م، فكان يلقي فيها المحاضرات باللغة العربية الفصحى، واهتم هو الآخر بالأدب العربي والدين الإسلامي وكانت له أيضا أثارا كثيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة ومنها ما يأتي:

"أقباط مصر" وهو عبارة عن مجلة كان ينشر فيها دراسات شرقية وكتاب "الزيدية" و"شرح المعتزلة للقرآن" "روما 1920م"، و"فقه اللغة العربية" وهي مقالات كان ينشرها باللغة العربية في الصحافة المصرية وكتاب "الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع للقاسم بن إبراهيم" و"شوقي الشاعر المصري" و"الإسلام وإنما نوية" و"تطور الإسلام الحديث" 1928م، وله أيضا الثقافة المصرية في كتاب "مصر الحديثة"، ودراسة عن الكندي 1940م الإسلام والقومية العربية في سلسلة مظاهر ومشاكل العالم الإسلامي ، وله أيضا مقالات في دائرة المعارف الإيطالية عن: أدب العرب، القرآن، الأقباط الشرق المسيحي، وفي دائرة المعارف الإسلامية عن: الفروق بين الإسلام والمانوية وغيرها من الكتب.[1]

[1] أنظر نجيب العقيقي (المستشرقون) الجزء 1، ص377 + 378.

وإذا كان المستشرقان الإيطاليان "نيلينو و جويدي" قد شاع إسمهما في الجامعة المصرية ومصر كلها بل في الأمة العربية بأسرها فإن الفرنسي (فبيت) هو الآخر ترك ما يبقي اسمه خالدا في أذهان الإنسان المصري، حيث يعد من الذين أرسوا دعائم التجديد والتغير في المناهج التي يدرس بها الأدب والتي لم يكن للعرب دراية بها.

درس العربية الفصحى في مدرسة اللغات الشرقية وتخرج منها ثم قصد مصر وانظم إلى المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، وعين أستاذا للأدب العربي سنة 1912م وله أثار عديدة في مختلف المجالات، وهي مؤلفات يغلب عليها طابع مصر الإسلامية قديمها وحديثها فله: المدن المصرية الشهيرة، ونشر مسرد لتراجم المنهل الصافي ومحضر الإدريس، كما له تاريخ مصر الطبيعي، وشواهد القبور الكوفية في مصر والسودان،[1] هذا باختصار مما أنجزه الفرنسي من دراسات خص بها الحضارة العربية الإسلامية.

وهناك آخرون إلى جانب الفرنسيين والألمان، ومنهم من زار مصر وانظم إلى جامعتها أو معاهد أخرى، ومنهم من لم تسمح له الفرصة بذلك ومن بينهم الألماني "فريتاغ" الذي أخذ هو أيضا في الترجمة والتأليف عن العربية الإسلامية بعد أن تثقف ثقافة عربية، فألف مثلا بالألمانية كتابا عن اللغة العربية في الجاهلية والإسلام، ونشر حماسة أبي تمام.

وهناك الهولندي "جون بول" الذي كان من رجال الدين وتمكن من اللغة العربية وبرع فيها، فنشر قصائد الشاعر العباسي الكبير المتنبي ومعاصريه من أمثال المعري وغيرهم. كذلك انجلترا أنجبت محبين للغة العربية بغض النظر عن نواياهم وإن كانت صادقة أم العكس، منهم "إدواردلين" الذي ألف كتاب عن آداب المصريين وعاداتهم بعد أن كان قد قضى اعواما عديدة في عاصمتها القاهرة. وآخرون لا يمكننا أن نفصل فيهم جميعا منهم الأستاذ "مرجليوث" والأستاذ "جون بول" و"فيبيت" و"غولتزيهز" المجري، و"هيتوار" الفرنسي ومواطنه "ديسا".

[1] راجع المرجع نفسه ص 199 الجزاء 1.

1- أثر الإستشرق في النقد:

قبل أن نتطرق إلى أثره على النقد الأدبي في مصر نتوقف قليلا على الأثر الذي لا يمكننا إغفاله وهو ذلك التغير الذي أحدثه هؤلاء المستشرقون مع مجيئهم إلى مصر على كافة مظاهر الحياة سواء في الاقتصاد أو السياسة والثقافة أو الأدب، فهم غيروا نظرة الإنسان المصري على الحياة وجعلوا عقلانيتهم تكتسي صيغة جديدة جذورها أوربية، إذن فقد أرسلوا في مصر أو زرعوا فيها بذور حضارة جديدة دعائمها المدنية الأوروبية المتحضرة. فالعلم مثلا كان أحد هذه المجالات التي مسها هذا التيار الغربي فلم تعد تلك النظرة القديمة للعلم سائدة، فبعدما كانت العلوم منونا محفوظة في مجلدات كمتن "المنهج للشيخ زكرياء الأنصاري" الذي جمع في كل مسائل الفقه للشافعي، وكانت هذه المتون تحفظ عن ظهر قلب. وهذا ما كان يفعله مشايخة الأزهر الشريف، فانتشر بينهم ما كان يسمى مجموع المتون الذي كانت تحصى فيه كل أنواع العلم العربي، فقيل كل شيء فيه ولم يعد ما يقال، وأصبح العلم كقدر مكتوب ومحتوم في الوقت نفسه، وما بقي أي حق للإنسان للإبداع ومن هنا نوقف الابداع العربي، لكن النظرة الجديدة الوافدة على مصر هي التي غيرت هذا المنظور السابق وبدأت هذه المتون في الاختفاء شيا فشيأ، وانطلق الإبداع والبحث، وفي هذا التجديد في المجال العلمي يقول شوقي ضيف: "وبهذا أصبح العلم العربي الذي كان يملأ المجلدات الضخمة شيأ ضئيلا جدا لا يتجاوز صفحات معدودة وران على الحياة العقلية ضرب من الجمود الشديد، وأصبح لا بد هزة عنيفة لتعيد إلى ينابيع حياتنا العقلية دورانها الأولى."وما قلناه عن الحياة العقلية وما أصابها من نهضة يمكن قوله أيضا على الحياة الأدبية في مصر، فقد أدى حضورهم إلى مصر واهتمامهم السالف الذكر إلى تأثير تلك الطرق التي كان يدرس بها الأدب وتسييرها في العصر الأيوبي وعصر الأتراك، وحتى حلقات الأزهر لم تبقى على حالها المعهودة رغم أنها جاءت في مرحلة متقدمة من الزمن لتظهر بدلها دراسات تعتمد على ما وصلت إليه أروبا من طرق حديثة في دراسة الأدب.

والجامعة المصرية هي الأخرى لم تفوت الفرصة بل أدمت على دعوتهم بهدف استقدامهم كأساتذة محاضرين، يقومون بتدريس اللغة العربية وآدابها، وهي دراسات تعتمد الاستقراء والتمحيص والموازنة مبتعدة بذلك عن العشوائية في إصدار الأحكام، بل لجأت دراساتهم النقدية إلى الاعتماد على النقد المنطقي الموضوعي، المبني على الاستنباط الدقيق، والمقدمات الصحيحة، والنتائج الراجحة، وبهذا القبيل يتسنى للناقد تفسير العمل الأبي وتعليله والحكم عليه بعد ذلك حكما صحيحا، بعيدا عن الذاتية ولإلقاء الأحكام التعميمية المباشرة كما سبق وأن شاهدنا ذلك في تطرقنا إلى مظاهر النقد القديمة في مصر.

والأثر العميق الذي تركه هؤلاء المستشرقون والذي يجب أن نقف عنده هو إنجابهم وتكوينهم لفئة من الأدباء والنقاد والمفكرين متشبعين بالثقافة الأوروبية، محبين التجديد ومحاولين في نفس الوقت تغيير الركود والجمود التي ألت إليه الحياة الأدبية في مصر، فاتجهت أنظار جلهم إن لم نقل كلهم إلى بحث ودراسة ما ألف المستشرقون عن التراث العربي، بل اتجه بعضهم إلى دراسة المدنية الأوروبية المتطورة بصفة عامة، محاولين إيجاد منهج قويم يساعدهم على دراستهم، فاختلفت المناهج والاديولوجيات وظهرت الفلسفة في أجاثهم ومن هنا كان اتجاهه وفلسفة الخاصة في البحث، ومنهم من اتخذ مناهج المستشرقين كقاعدة معرفية يستند عليها في دراسته، فتشابهت مؤلفاته مع مؤلفات هؤلاء المستشرقين، وفي مقدمتهم طه حسين الذي انتصر لمناهجهم محاولا المزاوجة بينها وبين ارثه القديم الذي تعلمه من الأزهر عن طريق أستاذه الشيخ الحسين المصرفي، فهو إذن ثمرة من ثمرات المستشرقين الذين درس عنهم في الجامعة المصرية، خاصة نالينو الذي كان تلميذا له فقد تأثر به تأثرا كبيرا جعله يقلد طرقه في دراسة الأدب ونقده، هاجرا منهجه القديم أحيانا ومضيفا تارة أخرى إياه مع منهجه الحديث. وثأره هذا جعله يقود حملة أو ثورة على القديم ومناهضا للتجديد، ومن هنا اعتبر طه حسين سبب من أسباب النهضة المصرية، ونال ينو الإيطالي أستاذه بالجامعة المصرية هو من ولد فيه هذه النزعة وهو من أوصله إلى هذه المكانة العالية، فطه حسين يعترف بأن دروس نيلينو والمحاضرات التي كان يلقيها عليهم بالجامعة المصرية كانت هي الموجه الأول للنهضة العلمية في دراسة الأدب في مصر ، ومع هذا الإعجاب تجده لا ينكر جميل أستاذه المرصفي بل جعله في مرتبة واحدة مع أستاذه

الثاني نيلينو حيث يقول: "إني مدين جياتي العقلية كلها لهذين الأستاذين العظمين: سيد بن علي المر صفي الذي كنت أسمع دروسه وجه النهار، وكارلو نالينو الذي كنت أسمع دروسه آخر النهار، أحدهما علمني كيف أقرأ النص العربي القديم وكيف أفهمه، وكيف أتمثله في نفسي، وكيف أحاول محاكاته، وعلمني الآخر كيف أستنبط الحقائق من ذلك النص، وكيف ألائم بينهما، وكيف أصوغها آخر الأمر علما يقرؤه الناس فيفهمونه ويجدون فيه شيئا ذا بال. "[1] وكتابه (تجديد ذكرى أبي العلاء المعري) الذي يعد أول بحث يقدم للجامعة المصرية منذ إنشائها والذي نال به درجة دكتوراه بامتياز يعد كأسمى دليل على شدة تأثيره المستشرقين في شخصيته طه حسين ومن خلاله أيضا تبين هدف تأثره بآثارهم الضخمة، كما تجده أيضا في الكتاب (في الشعر الجاهلي) متأثرا بالمستشرق الإنجليزي "مرجيليوني" فأنكر قصة إسماعيل وإبراهيم كما تطبق في هذا الكتاب نظرية مرج ليوث في دراسة الشعر الجاهلي، وكذلك كتابه عن "النقد" درس فيه تاريخ هذا الشاعر دراسة تشابهت في أغلب فصولها مع دراسة المستشرق الفرنسي فيبيت." ونتيجة للأثر البالغ الذي تركه المستشرقون في طه حسين إذ يشيد بهم في مقدمة كل كتاب يؤلفه، بل راح يطبق فنونهم ومذاهبهم وتلك الألوان المختلفة من الدروس التي لم يعرفها من قبل ، فكلها إذا طرائف جعلت طه حسين ينتصر لها ويمتدحها ويأمر بالاهتداء بها والأخذ بها في دراسة الأدب حيث يقول طه حسين عن ذلك: "أنشئ قسم الآداب في الجامعة، ودعي إليها جلة الأساتذة من المستشرقين في إيطاليا وفرنسا وألمانيا وانتسبت لهذا القسم، وأخذت أسمع الدروس فيه، فإذا ألوان من الدروس لم أعرفها من قبل، وإذا فنون من النقد لم يكن بها عهد، وإذا دارس الأدب لنفسه ينبغي أن يدرس جيده ورديئه، وان يتقن غثه وسمينه على السواء من غير تفاوت ولا تفريق وإذا الباحث عن تاريخ الآداب ليس عليه أن يتقن علوم اللغة وآدابها فحسب، بل لابد له أن يلم ألماما بعلوم الفلسفة والدين، ولابد له أن يدرس التاريخ وتقويم البلدان درسا مفضلا، وإذا الباحث عن تاريخ الآداب لا يكفيه من درس اللغة حسن البحث عما في القاموس واللسان وفي المخصص المحكم، وما في التكملة والعباب، بل لابد له مع ذلك من أن أصول اللغة القديمة، ومصادرها الأولى فإذا اللغة العربية وحدها لا تكفي لمن أراد أن يكون أديبا ومؤرخا الآداب حقا إذا لا بد

[1] طه حسين (مقدمة) تاريخ الآداب العربية للمستشرق نالينو ص11.

له من درس الآداب الحديثة في أوربا، ودرس مناهج البحث عند الإفرنج، بل له ما كتب الأساتذة الأوروبيون في لغاتهم عما للعرب من أدب وفلسفة ومن حضارة ودين. [1]"فطه حسين يقر في كتابه عن أبي العلاء بنوعية تلك الدروس الجديدة عليه وعلى باقي الطلاب الذين درسوا معه على يد المستشرقين في الجامعة المصرية، فهؤلاء المستشرقين هم من وسع دائرة دراسة الأدب، فربطوه بالتاريخ وبعلم النفس وعلم الاجتماع وأصبح على الناقد أو الدارس للأدب أن يكون على دراية بهذه العلوم.

وإعجاب طه حسين بهذه الفنون جعلته يدعوا إلى الاهتداء بها والإطلاع إلى ما وصل إليه الأوربيون في لغاتهم المختلفة من دراسات عن الأمة العربية وحضارتها وعلومها من دين وفلسفة وأدب وثقافة.

فهذه المناهج الحديثة غيرت رأي طه حسين في الأدب، وغيرت ذوقه النقدي اكتسى طابع النقد اللغوي وذلك نشأته الأزهرية حيث يقول في هذا طه حسين: "كل هذه عقبات ظهرت لي حين سمعت دروس الأساتذة المستشرقين في الجامعة ولست أزعم أني وفقت إلى تذليلها ورياضتها كافة، وإنما أقول أنها غيرت رأي في الأدب ومذهبي في النقد التغير كله، فلم يبق من هذه الآثار الحسان التي تركها الأستاذ المر صفي في تلك النفس الناشئة إلا دقة النقد اللفظي، والحرص على إيثار الكلام إذا امتاز بمتانة اللفظ ورصانة الأسلوب.[2] "ويواصل طه حسين في استرسال تلك المناهج الحديثة ومدى تأثيرها على مسار النقد الأدبي في مصر، وكيف أنها استخرجت علما لم يكن لمصر به عهد، فتجده يؤكد على نفعها وعلى ضرورة تطبيقها في دراسة اللغة العربية وآدابها، أكد بأنها تساعد على فهم الأمة العربية والإسلامية عامة فهما دقيقا صحيحا، هذا التأكيد جاء في وقت اختلفت فيه الآراء وتباينت حول ما جاء به هؤلاء الأوروبيون وما مدى صحة، مشككين في الوقت نفسه في نواياهم ووصفها بالاستعمار ومحاولة ضرب المقومات والدين الإسلامي بالأحرى، حيث يقول طه حسين: "والمذهب الذي أحدثته الجامعة مصر درس الآداب العربية بمصر نافع النفع كله لاستخراج نوع من العلم لم يكن لنا به عهد مع شدة الحاجة إليه. وهو تاريخ الآداب تأرخا يمكننا من فهم الأمة العربية خاصة، والأمم الإسلامية عامة فهم صحيحا حظ الصواب فيه أكثر من حظ

[1] طه حسين (تجديد ذكرى أبي العلاء) الطبعة 8، ص6 وما بعدها.
[2] طه حسين (تجديد ذكرى أبي العلاء) ،ص7.

الخطأ، ونصيب الوضوح فيه أوفر من نصيب الغموض." ويعيد كتاب "تجديد ذكري أبي العلاء المعري" الذي ألفه طه حسين ونال به شهادة الدكتوراه كما أيلقنا الذكر – خير مثال على أثر الإستشراق ليس على حسين فحسب بل عل النقد الأدبي في مصر بصفة عامة، فبعدما كان المنهج القديم يبغض الشعراء الذين حاولوا التجديد من أمثال المتنبي وأبي العلاء وغيرهم جاء المنهج الجديد والعلم الحديث الذي يعرب عن الحقيقة ويكشفها، وطه حسين هو بدوره راح يتخطى ذلك المنهج القديم الذي تعلمه من حلقات الأزهر الشريف على يد أستاذه المر صفي، وتناسى بذلك مقته وسخريته من "حبيب بن أوس والمتنبي وأبي العلاء" حيث يقول: "مسلم بن الوليد وحبيب بن أوس وأبي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري، قوم تكلفوا البديع، وأخضعوا المعنى للفظ، وتعمقوا في درس مذاهب الفلاسفة، ولم يخل كلامهم من يونانية تباعد بينهم وبين المذهب العرب البادیين، فدرسهم خطا والعناية بهم حمق،والإعراض عنهم إلى الشعراء المطبوعين إصابة وتوفيق".[1]

وعلى هذا الدرب غلا طه حسين وأصحابه في مقت هؤلاء الشعراء حتى أصبحوا إذا سمعوا بيتا من الشعر ولم يعجبهم أرادوا المبالغة في ذمه فقالوا: ما أشبه هذا شعر المتنبي، وما أظهر أسلوب أبي العلاء لكن العلم الجديد الذي أحدثته الجامعة المصرية هو الذي جعل طه حسين وأمثاله يبدلون أحكامهم التي لم تكن مسندة إلى مرجعية، والمستشرقون هم من دفعوا بطه حسين إلى الكتابة عن أبي العلاء، فهم بهذا مصابيح أو نجوم أنارت الطريق أمام نقادنا العرب حيث يقول طه حسين: "كره المنهج القديم إلى أبا العلاء وأزال المنهج الجديد من نفسي هذا الكره، ووفقني من بعض الشعراء المحدثين والمتقدمين موفق الرجل الحر لا يستهويه حب، ولا يصرفه بغض، وإنما المجيد والمسيء عنده سواء في الخضوع لقوانين البحث".

[1] طه حسين (تجديد ذكرى أبي العلاء المعري)، ص7 + 8.

وأثرهم لم يقتصر على طه حسين لوحده بل أثروا على عقلية المصريين بصفة عامة، وجعلوه يحول أنظاره من قديم إلى جديد دعائمه أوربا وما صلت إليه من تحضر وتقدم، بل جعلوا أدباء مصر يقرؤون كل بحث أو دراسة أجنبية "أمريكية، روسية" وغيرها من الدراسات التي عنت بالتراث العربي وباللغة العربية فنونها، فالعقاد مثلا اهتم بالأدب الإنجليزي مستفيدا منه، ومهتديا على ضوئه، فنجده كثيرا ما يتعرف في كتاباته بالإنجليزي هازلت وعقلانية ديكارت.

لكن مع هذا الجيل الذي صنعه هؤلاء المستشرقون فلا يمكن تبرئتهم جميعا، والوثوق فيهم جميعا لأن فيهم من تعصب في دراسته دينيا وسياسيا مثل أرنست و رينان هذا الذي كان معاديا للدين، كما أن كثيرا منهم غير متمكن من اللغة العربية تكمنا يساعده على تحصيل النتائج بعيدا عن الأخطاء لكن وقع العكس وارتكبت أخطاء كثيرة في دراساتهم، وكان مرجعها جعلهم لمعاني بعض الكلمات من ذلك ترجمة "كازميرسكي" المستشرق البولوني لكلمة "هوي" بمعنة هواء وذلك في البيت:

بأبي وأنت وأمي من مليك قل عدله ونجيل بالهوى لو كان يغني عنه نجله

فقال: انه بخيل حتى أنه لم يهب الهواء إلا بمقدار.[1]

ولكن المخلصين منه كانوا متعاونين فيما بينهم على تصحيح أخطائهم التي اعترفوا بها بأنفسهم، بعدما تذوقوا اللغة العربية بالدرجة الأولى، والمستشرق الإيطالي الشهير يعترف بذلك وهو يخاطب طالب طلبة الجامعة المصرية فيقول: "أطلت الكلام في هذا الموضوع لأبين لكم سبب تكليفي بتدريس آدابكم مع أني رجل أجنبي بعيد أي بعد عن إمكان مسابقة الوطنيين في معرفة اللغة والتضلع من أسرارها وخصائصها".[2]

[1] أنظر الأمير عز الدين، نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، ص106.
[2] نيلينو، تاريخ الآداب العربية، ص73.

ومن خلال ما قلناه من اختلاف في الآراء حول هؤلاء المفكرين والعلماء والفلاسفة والمؤرخين الذين تثقفوا ثقافة عربية، يمكن القول أنهم طائفة من الناس فيهم البارع والعادي والخائن والأمين وفيهم القادر والضعيف والعاجز، ومن الظلم والجهل معا أن نحكم على أحد من اسمه، بل لا بد من النظر في أعمالهم وهي لا تحصى ولا تعد فإنهم قد نشروا وألفوا وترجموا في العربية وآدابها وفي مجالات أخرى.

ويبقى الاستشراق كما سبق أن ذكرنا أهم العوامل التي أثرت على النقد الأدبي في مصر، بحيث أرسى دعائمه من أفكار وفلسفة ومناهج ارتكزت عليها مصر في تحويلها عن القديم وإلى الجديد في الدراسة الأدبية.

الفصل الثالث

مظاهر النقد الأدبي الجديد والمعاصر

النقد عند طه حسين:

تحدثنا في الفصول السابقة عن مظاهر النقد القديم في مصر، وشاهدنا أيضا أهم العوامل التي أثرت فيه، وسوف نتحدث في هذا الفصل عن مظاهر النقد الجديد من خلال أبرز أعلامه.

فطه حسين قد تلقى التعليم الديني في قريته التي ترعرع فيها ثم في الأزهر، فسهل عليه الاطلاع على الإرث العربي والنهل منه، ثم التحق بالجامعة المصرية عند إنشائها، دون أن ينقطع عن دروس الأزهر، بل كان يزاوج بينهما فيسمع لدروس الأزهر نهارا، وفي المساء لدروس الجامعة، وقد بقي بالجامعة المصرية، وارتقى إلى درجة العالمية من خلال بحثه الذي نال به الدكتوراه، في الأدب سنة 1914.

ومن هنا نضع أيدينا على أول عمل أدبي، يقدم للجامعة المصرية وهو كتاب "تجديد ذكرى أبي العلاء" وسوف نتعرف على مذهبه في النقد من خلال هذا الكتاب.

والحقيقة أن اتجاه طه حسين في النقد بدأ و هو طالب في الأزهر، أين أحكم صلته بالمر صفي ولازمه أربع سنوات أستطاع فيها أن يصقل ذوقه الأدبي والنقدي، وأصبح على علم بمذاهب الشعر وطريقة تذوقه وفهمه حيث يقول: " كنت يدرس الأدب في الأزهر الشريف، وبدأت أختلف إليه ولم أعد السادس عشر، فلزمته أربع سنين، ما ذكرت أني انقطعت عن درسه، أو تخلفت عن مجلسه، ولم يقف الأمربيني وبينه على ما يكون بين الأستاذ والتلميذ من الصلة بل نشأ بيننا نوع من المحبة يشوبها في نفسي الإجلال والإكبار وفي نفسه العطف والحنان ..."[1]

[1] طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص5.

وهكذا فقد عرف مع المر صفي السبيل إلى أمهات الكتب العربية القديمة التي كانت تملأ رفوف المكتبات من أمثال: ديوان الحماسة ونهج البلاغة بشرح الإمام، والكامل، ومقامات، والهماذاني، والمعلقات، وكتابي الجرجاني في البلاغة وكتاب سبويه والفصل في النحو.

وبقي طه حسين ملازما لأستاذه بالأزهر إلى أن بلغ العشرين سنة من عمره، وهذه المدة جعلته يتأثر بمنهج أستاذه تأثرا واضحا، جعله لا ينظر للأدب إلا بمنظاره، وقد أشرنا سابقا في المدخل إلى مقاييس المر صفي في دراسة الأدب عندما تطرقنا إلى مظاهر النقد القديم في مصر، فهذا إذن هو الدافع الذي دفع بطه حسين في هذه المرحلة من حياتة إلى الأخذ بمذهب القدماء، والإعراض عن دراسة مسلم بن الوليد وأبي تمام، والمتنبي والمعري وأمثالهم من الذين حاولوا التجديد في الشعر أو النثر العربي.

لكن بمجرد انتسابه للجامعة المصرية راح يوسع ثقافته من خلال إطلاعه على البيئات الأخرى بكتبها وصحفها وترجماتها، فكان يقرأ ما ترجم "فتحي زغلول" عن الفرنسية وما كان السباعي يترجم عن الانجليزية وما ترجمه جورجي زيدان في كتب ومقالات وما كان ينشر من قصص، وما كان يؤلف من كتب في التاريخ والأدب والحضارة، ولا يقف به الأمر عن هذا الحد من المطالعة وإنما يحاول أن يتعلم اللغة الفرنسية.

وقد ترك المستشرق الإيطالي الكبير كارلو نيلينو أثرا عميقا في نفس طه حسين، فهو أول من نقل فكره –الذي أنحصر في معرفة القديم ودراسته فقط –إلى علم الحديث لا للعرب عامة، ومع هذا فهو لا ينكر جميل أستاذه الشيخ بن علي المر صفي إنما يجعله مع نيلينو في مرتبة واحدة كما جاء في قوله في مقدمة كتابه عن أبي العلاء.

ومنهج هذا المستشرق يوسع دائرة الأدب ويربطه بما في العالم، فهو بهذا يشترط على دارس الأدب بأن لا يكفي بمعرفة علوم اللغة وآدابها، بل لابد أن يوسع معرفة ليطلع بذلك على الفلسفة والدين والتاريخ، وعلم النفس للأفراد والجماعات، كما يشترط منهج هذا المستشرق على الباحث في الأدب أن يكون على دراية بالآداب الغربية الحديثة، وما وصل إليه الأوربيون من طرق ومذاهب متطورة في دراستهم اللغوية، كما عليه كذلك أن يطلع على آثار المستشرقين وما ألفوه وما ترجموه عن الحضارة العربية الإسلامية.

وعلى ضوء المستشرقين غير طه حسين الوجهة التي كان ينظر بها للأدب والطريقة التي يدرس بها الأدباء والشعراء والنقاد، وسوف نتعرض لمنهجه الجديد من خلال ما ألف "كتاب تجديد ذكرى أبي العلاء" وقد اتبع فيه منهج أساتذته المستشرقين في الأدب والتأريخ له، كما يعد بحثه هذا أول بحث يقدم للجامعة المصرية منذ إنشائها بل يمكن القول أنه أول بحث يقدم للأمة العربية على طرق غير معروفة حيث حاول صاحبه خرق ما تعارف عليه العرب من طرق، ونقد المنتوج الأدبي، فنجده في كتابه هذا يستعن بالتاريخ وعلم النفس والعلوم العقلية الحديثة التي توصلت إليها أوربا، وعن منهجه هذا يقول: "جعلت درس أبي العلاء درسا لعصره واستنبطت حياته مما يحيط به من مؤثرا، ولم أعتمد على هذه المؤثرات الأجنبية وحدها، بل اتخذت شخصيته مصدرا من مصادر البحث، بعد أن وصلت إلى تعيينها وتحقيقها وعلى ذلك فلست في هذا الكتاب طبعيا فحسب، بل أنا طبعي نفسي أعتمد فيه على ما تنتج المباحث الطبيعية ومباحث علم النفس معا".[1]

[1] طه حسين تجديد ذكرى أبي العلاء، ص12.

ومنهجه هذا متأثر بمناهج الجبريين وعلى رأسهم "ابي العلاء" الذي يعتبر من أبرز النقاد الذين استخدموا المنهج العلمي الحديث في الدراسة الأدبية باعتبار الأدب نتيجة لثلاث عوامل هي: البيئة والجنس والثقافة المعاصرة، فالأدب بهذا يكون كغيره من الظواهر العلمية الاجتماعية خاضع لعوامل خارجية تدخل ولها في تكوينه، فالأدب عندهم ظاهرة اجتماعية وهو كغيره من الظواهر الاجتماعية التي تكون نتيجة لعوامل مختلفة.[1] وعلى هذا المنوال نهج –منهج هؤلاء الجبريين –فراح طه حسين يرسم خطته المنهجية تقريبا في كل ما أصدره من بحوث بحيث يقول: "إنما الحادثة التاريخية والقصيدة الشعرية والخطبة يجيدها الخطيب والرسالة ينمقها الكاتب الأديب، كل أولئك نسج من العلل الاجتماعية والكونية التي تخضع للبحث والتحليل، خضوع المادة لعمل الكيمياء.[2]

ويواصل طه حسين قوله للتأكيد على مدى إعجابه وتأثره في نفس الوقت بالجبريين ومناهجهم فيقول: "يدل على أم قدمناه على أن نرى الجبر في التاريخ، أي أن الحياة الاجتماعية إنما تأخذ أشكالها المختلفة وتنزل منازلها المتباينة بتأثير العلل والأسباب التي لا يملكها الإنسان، ولا يستطيع لها دفعا ولا اكتسابا، ذلك رأي نراه وسنثبته في موضعه من الكتابة ... ولسنا نبتدع هذا الرأي إنما نوافق فيه كثيرا الفلاسفة الأوربيين والمسلمين".[3]

فهذه بصفة عامة أهم المنطلقات التي أسس عليها طه حسين منهجه في الدراسة وفي هذا الكتاب الذي درس فيه البداية عصر أبي العلاء ودرس حياة عصره السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية والخلقية والعقلية ونستنتج أنه ثمرة من ثمرات عصره عمل في إنضاجها الزمان والمكان والأحوال السياسية والاجتماعية. ثم انتقل في بحثه إلى دراسة حياته الخاصة، فدرس قبيلته وأسرته ومولده وأسمه ولقبه وذهاب بصره، وتعليمه وموت أبيه، كما تحدث عن شعره من خلال ديوانه "الزبد" في أطواره الثلاثة: طور الصبا، وطور الشبيبة، ثم طور الكهولة ثم طور الشيخوخة، ثم عالج أغراضه الشعرية من خلال كتابه "رسالة الغفران".

[1] أنظر محمد زغلول سلام، النقد العربي الحديث، أصوله، قضاياه ومناهجه، ص270.
[2] طه حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص19.
[3] نفس المرجع ص22.

وكان في دراسته لشعر أبي العلاء يقف على محاسنه ومساوئه فأخذ عليه في شعره في طور الصبا –أو الحديثة كما يسمها طه حسين –كثرة المبالغة والتكلف، ونقص متانة الألفاظ ورصانة الأسلوب وإتقان المعنى كما وصف شعره بالتقليد والحرص على المحاكاة ومن ذلك تعليقه على بيت المعري:

ونادية في مسمعي كل قينة نغرذ باللجن البريء من اللجن

"فهذا المعنى في نفسه جميل ظريف، ولكنه في هذا البيت نيئ لم ينضج وشانه هذا الجناس المتكلف والبديع المتعمد، فانظر إليه حين نضج عقله، واشتدت مرته، كيف أدى هذا المعنى نفسه في أعذب لفظ، وأجمل صورة وأصفى أسلوب".[1]

ثم يأتينا طه حسين ببيت شعري فيه مدح والدي يقول فيه المعري:

أبكت تلكم الحمامة أم غد ت على فرع غصنها المياد

وراح طه حسين يزيد في نقده لهذا البيت بمقدرة أبي العلاء على اختراع الصور وحسن عرضها. ويواصل طه حسين نقده لشعر أبي العلاء حيث يرى عنه في طوره الثاني "طور الشباب" أنه غلبت عليه المبالغة وفيه قلة في التكلف والاقتصاد في اللفظ والمعنى والتجمل بالمصطلحات العلمية ومن هذا قوله:

يذيب الرعب منه كل عصب فلولا الغمد يمسكه لسالا

ويعلق عليه طه حسين فيقول: "فانظر كيف انتهت به المبالغة إلى الإحالة فرغم أن البرق كان يشجو الرحال أن الخوف يذيب السيوف في أغمادها ... وفي هذا البيت مبالغة من وجهين أحدهما وصفها بالرعب والآخر وصفها بالذوبان، وفيه قصور لا يغتفر".[2]

أما عن شعر أبي العلاء في طوره الثالث فيرى فيه طه حسين أنه ممتنع عن البلاغة وامتنعت فيه الضروريات، كما يرى أنه يلتزم القوافي الصعبة، وراح طه حسين يأخذ عن المعري في هذا الطور في جميع شعره ونثره كثرة الغريب وغموض أغراضه، فلا تكاد تفهم ما يعنيه يقول طه حسين: "بل لم يكف أبا العلاء أن يتخير من الألفاظ ما لم يألف أهل عصره حتى استعمل غريب اللغة ونادرها ...".[3]

---

[1] طه حسين تجديد ذكرى أبي العلاء، ص183.
[2] طه حسين تجديد ذكرى أبي العلاء، ص185.
[3] المرجع نفسه، ص187.

وعلى نحو هذا النوع من الدراسة واصل طه حسين درسه عن أبي العلاء وعن باقي الشعراء في إنتاجاته أتت بعهد كتابه هذا، ومنها "حديث الأربعاء" الذي ألف من جزأين وهو عبارة عن مقالات نشرها في صحيفتي السياسة والجهاد بين عامي 1922 و1924 ميلادية، ومنهاجه في هذا الكتاب شبيه لحد كبير بمنهجه في الكتاب الأول إلا أنه في الثاني كان يعتمد الإجمال، في حين أنه في "ذكرى أبي العلاء" كان يعمد للتفصيل. ومن خلال كتاب "حديث الأربعاء" راح يدرس مجموعة من شعراء الغزل على ضوء الشك، حيث شك ببعض الشعراء فأنكر مثلا: شخصية عنترة.[1]

واعتمد كذلك إلى جانب الشك، المنهج التاريخي وهذا من أجل التاريخ لحياة القدماء، وفي سنة 1926 أصدر طه حسين كتابا سماه "الأدب الجاهلي" محاولا إكمال ما جاء به مناهج ونظريات جديدة اتضحت من خلال كتابية السالف ذكرهما، محاولا من خلال كتابه هذا التطرق إلى الأدب العربي عامة والجاهلي الخاصة، على ضوء منهج يتفق من جهة ويختلف من جهة أخرى مع منهجه في كتابية "ذكرى أبي رالعلاء وحديث الأربعاء".

وهذا باختصار شديد منهج طه حسين في دراسة ونقد الأدب العربي غير أنه لم يقف عند هذا الحد بل راح يدعو في ما كان يكتب وينشر في بعض المجالات الطرق المثلى لدراسة أي أديب، فما دعا إليه هو ضرورة دراسة إنتاج الأديب ليستخرج منه حياته كما فعل لما درس شخصية أبي العلاء وكما يدعو في موجبه إلى الاستعانة بالمنطق لدراسة ما يصدر عن الشاعر، من قضايا الفلسفة إن كانت له ،ويرى مع هذا أيضا ضرورة الاستعانة بعلم النفس لدراسة روح الشاعر واتجاهاته النفسية.[2]

بصفة عامة فإن طه حسين فيما أبدع من مؤلفات وفي مجالاته تراه يستعين بما وصل إليه الأوربيون في العصر المنصرم من فرص المنطق مرة الاستفسار الساخر وتسفيه الخصم تارة أخرى، فنجده يعتمد اختلافات القناعة مما يستدعي خلخلة البنية السائدة، ولهذا تراه أيضا يلجأ إلى التعريف المتكرر وعرض المصطلحات الأساس وإيضاح الأفكار مستعينا بالمراجعة، والإقناع الضعف، وتتضح كذلك خطته المنهجية في بناء أفكاره التنويرية في منظوره الذي أسقطه على "أحمد لطفي السيد" عندما تناوله من أجل الثناء على

[1] أنظر طه حسين، حديث الأربعاء، الجزاء الأول، ص52 وما بعدها..
[2] أنظر الأمين عز الدين، نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، ص246.

مجهوداته في مرحلة جفاف إن صح التعبير، مر بها الوطن العربي، والتجديد عند طه حسين لا يأتي معزولا عن الإصلاح ما دام يعمد الشك بغية اليقين إذا يقول: "أريد أن أصطنع في الأدب هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه (ديكارت) للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر، والناس جميعا يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج هي أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل، وأن يستقبل موضوعه بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلوا تاما".[1]

وطه حسين يرى أن منهج الشك من أخصب المناهج وأقواها وأحسنها أثرا، وأنه قد جدد العلم والفلسفة، كما أنه غير منهج الأدباء في أدبهم والفنانين في فنهم، وأنه هو الطابع الذي يمتاز به العصر الحديث.[2] ويقترن المنهج عنده بمسعاه التنويري الذي يبتدئ امتثاليا معتمد أصول الموروث وقراءته على يد "محمد عبده وبن علي المر صفي" ليمضي به نحو مفاهيم مغايرة، ويصر في نفس الوقت على إشاعته في ضوء ما وصل إليه من هذه المفاهيم، فمنهجه هذا ينسجم كليا معه ما يذهب إليه في كتاباته طيلة حياته مستجوبا ومتأملا وفاحصا ومسترجعا ومدققا، متأففا تارة ومطمئنا تارة أخرى كلما طالع مادته الجديدة أو بلغة نقد لاذع لمنهجه.[3]

دور طه حسين في النهضة:

يعد طه حسين أحد رواد العقلانية العربي المؤثرين فعليا في نشأة المثقفين العرب المحدثين وحياتهم وكتاباتهم وامتيازهم التجديدي في النقد والدراسة الأدبية، وطه حسين إفادته تكمن في توظيفه للمنهج العقلاني والأساليب الحديثة، محققا نقلة ذات شأن في طبيعة علاقة المثقفين العرب بالإستشراق من خلال مسعاه التوفيقي للموازنة بين المواصفات العلمية والمعرفية لدى "نيلينو" والإستشراق، وبين الموروث وتقاليد تعليمه. فطه حسين جاء بعقلية جديدة ومنهجية فكرية، ليؤثر تأثيرا حقيقا فعالا واسعا في تكوين المحيط الأدبي الجديد ومنه تحققت نقلة جادة من السكون الذي خيم على الحياة العربية إلى الحركة التي انتعشت عندها الحياة، ويبدو هذا التغير أحدثه في الكتابات الإبداعية وفي النقد واللسانيات وظهور

[1] طه حسين، الأدب الجاهلي، دار المعارف، الطبعة 14، ص 67-68.
[2] أنظر طه حسين، الأدب الجاهلي، ص 69.
[3] سلسلة كتب الثقافة المقارنة، مجلة الإستشراق العدد الرابع 1990، ص7.

النزعات العقلانية، فحركته التجديدية أضفت على أجواء الفكر والآداب سماه جديدة لم تكن متوفرة من قبل في الساحة القومية.

كما أن منهجية التنويرية أو العقلانية تعد مواجهة حاسمة لموضوع التبعية المطلقة للماضي على أنه متحكم في الحاضر وقائد له، موجها لرغباته إذ يقول في رده على ما يقول "الرافعي" صفحة الأدب السياسية 1923: "لسنا نعيش عيشة الجاهليين فمن الحمق أن نصطنع لغة الجاهلية".[1] أي أن طه حسين يدين بدعوى التبعية المذكورة لأنه يراها نفاقا من جانب، وإصرار على الركود الفكري الذي تأخذه الحياة المادية بتخطيه تدريجيا من جانب ثان. كما أن دعوة طه حسين إلى رفض التقديس الذي اعترى اللغة العربية وما يتصل بها من علوم وآداب وفنون، فأصبحت وسيلة يرفض المساس بها بهدف التقليل من هذا التقديس، وجعلها خاضعة لعمل الباحثين.

والنهضة عند طه حسين تكون بالشك لا بهدف هجران الماضي بل إعادة تكوينه في حاضر ملائم لروح العصر، فعقلانيته إذن وجدت أصداء بين الأدباء والمفكرين والساسة العرب، وبدأت إفرازاتها تتجلى على أرض الواقع تدريجيا في مختلف المجالات، فبدأ التأمل الجاد للواقع وكيفية التصدي له، وبدأت النظرة الجادة اليقينية للأدب والأدباء على قواعد وطرق مختلفة الأصول.

[1] طه حسين، حديث الأربعاء، الجزء الثالث، ص10-11.

النقد عند عباس محمود العقاد:

العقاد من المتأثرين بالثقافة الغربية، وبالخصوص منها الأدب الإنجليزي الذي كان عليه أطلاعه كبيرا ونجده أكثر التأثر بها زلت وبآثاره النقدية، ولو قرأنا "لها زلت" لتبيين لنا ذلك وخاصة في كتاب "روح العصر" حيث التقى العقاد معه في بعض آرائه إن لم نقل كلها، لكن هنالك فرقا عظيما بين العقاد وهازلت إذ إن العقاد كثير الإطلاع فهو يعتمد على القراءة الواسعة وهو عريزي الثقافة على العكس منه هازلت ومن أمثلة التأثر "بها زلت" نجد تصوير العقاد للطبيعة في روما نتيجة واسعة كما تأثر "بها ودي" في اعتماده التحليل النفسي، كما تأثر أيضا بمذهب "ورود زورث" وتأثر أيضا بكثير من الغربيين حيث يقر العقاد بذلكم في قوله: "أصدرت الخلاصة اليومية وفيها أثار الإطلاع على فيتر جيرالد وتيلستوي، ودافيد هيوم وليبرك، ونيتشه، وغيرهم، مقتبسة من المراجع لم تترجم للعربية".[1]

ومع العلم لجماعة الديوان التي كانت أكثر تأثرا بالشعر الإنجليزي، قلم تعجبهم الأغراض التقليدية في الشعر العربي، فذهبوا إلى نقده وأرادوا التعبير وبصدق وإخلاص حيث تجلى صدقهم وإخلاصهم في شعرهم الذي أرادوا له أن يكون تصويرا للذات وعواطفها فيكون أشبه باللوحة النفسية التي تصور قدرة الرسام وفنه.

ومن هنا انطلق العقاد، فكان ناقدا، مميزا وكان باتجاهه الجديد، فأخرج كتابا، نقد فيه الشعر التقليدي، والتقليدي المجدد وكان يرفقه صديقه المازني وقد سميا كتابها بالديوان بالإضافة إلى العديد من المؤلفات الأخرى والتي تربوا على السبعين كتابا أثرت في الأدب العربي المعاصر، من بينها دواوين الشعر وكتب السير، والعبقريات، والدراسات الأدبية والنقدية، ومجموعات من المقالات الثقافية والاجتماعية.

وكان العقاد بارزا في الساحة الأدبية والنقدية وهذا ما دلت عليه آراؤه وكتبه ومقالاته وهذا مندور شهد له في قوله: "العقاد من أولائك النفر القليل الذي يصح أن يقال فيهم مثل الذي قيل في المتنبي من أنه ملء الدنيا وشغل الناس، وأثار الصدقات والعداوات، وخاص المعارك في شجاعة وصلابة، وإن يكن عنف خصامه قد أرث له من العداوات ما أضعف من قوة تأثيره في عصره، وبخاصة خصوماته ... نرى من الخير أن نسقطها من حسابنا

[1] حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي المعاصر ص408.

حتى لا يكون لها أي تأثير عند تقديرنا لهذا العملاق من تيارات النقد والأدب المعاصرين".[1]
كان العقد أعمق من صاحبه المازني في نقده للأدب المعاصر، كما كان لنقده أثر بالغ على الشعر المعاصر، حيث جعل من الشعراء يبتعدون عن التقليد المتداول ويذهبون في الجديد والتجديد، فكان العقاد من بين الرافضين للتقليد والباحثين مناهج جديدة فكان أول من بدأ هذه الحركة التجديدية مع المازني وشكري، وخاصة الشعر وكيف يجب أن يكون، وكان متزعما للحملة النقدية على الشعراء الكبار والذين ينهجون نهج القدماء.

والعقاد، ناقد، مفكر، وفنان مجدد وحكيم وهو ذاتي أكثر منه موضوعيا ما يبين مذهبه الفني:

دليل على أن الكمال محرم إنانا خلقنا وذكور
فالمرء في جسم وروح بكامل ولكن كل العالمين شطور

وفي هذا تقرير الحكمة واستدلال على صدقها من واقع الحياة وهو في ذلك يستقرىء الأمثلة ليستدل على سلامة القاعدة أو النظرية.[2]

وهو الذي يقول عن شعر شكري أنه مطبوع ويذهب إلى ذكر مزاياه وأوصافه، ومزاياه الجميلة وإن كان مخالفا للحقيقة في صورها إلا أن روح الشعر لا تخالف روح الحقيقة وليست الاستعارات والتشابه مخالفة للحقيقة وهذا في تقديمه لديوان شكري حيث يقول: "إنه ليس الجميل قمرا، ولا الزائر رعدا، ولا الكريم غماما ولكن الغبطة بصورة الحسناء كالغبطة بالليلة القمراء، والرهبة من زمجرة الأسود في الغاب كالرهبة من جلجلة الرعود في سحابها".[3]

كما رد العقاد على خصومه الذين اتهموا أسلوبهم بالإفرنجية أو ما سموه بالتقليد الأعمى للإفرنج الذي لا يشبه في شيء أساليب العرب، وأرجع هذا إلى جوهر الطبائع، ومثل له بالتعريف بالأدب السامي والأدب الآري والفروق الموجودة بين الشعبين وهذا ما يؤيده أيضا بعض الباحثين كأحمد أمين وتوفيق الحكيم وينكره آخرون.[4]

---

[1] محمد مندور النقد والنقاد المعاصرون ص80.
[2] راجع حنفي داود، ص59 من كتاب التأليف في الأدب الحديث.
[3] راجع محمد سلام زغلول، من كتاب النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهاته وقضاياه، ص228-229.
[4] أنظر الأمين عز الدين، نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، ص161.

ونعى العقاد على المحافظين تقليده في الشعر وعايب أولئك الذين يعيشون بأفكارهم وخواطرهم غير عصورهم، والشاعر عنده من يعيش حياته وعصره فقط على أن الشعر هو الشعر الذين يكون صادقا معبرا ومؤثرا، وفي هذا يمتدح شعر المازني الذي يترجم عن زمنه ويمثل على الشعر الزائف بقول الأندلسي في بيته:

بروع حصاه حالية العذارى فنلمس جانب العقد النظيم

وبعده بيتا زائفا لأن الصورة التي يعرضها الشاعر غريبة عن الأصل كاذبة كل الكذب، ويأتي مقابله بأبيات للمتنبي في وصف شعب بوان ومنها بيته القائل:

غدونا ننفض الأغصان فيها على أعرافها مثل الجمان

وهو يرى فيه صدقا وإحساسا ينقله الشاعر دون تزويق زائف.[1]

دعا العقاد أيضا إلى التجديد في القافية والأوزان لتسع كل أغراض الشعر، وقد دعا لهذا التطور بروية إذ يقول في مقدمته لديوان المازني: "ولا مكان للريب في أن نقول القيود السماعية ستجري عليها أحكام التغير والتنقيح، فإن أوزاننا وقوافينا أضيق من أن تتسع لأغراض شاعر تفتحت مغالق نفسه، وقرأ الشعر الغربي فرأى كيف ترحب أوزانها بالأقاصيص المطولة والمقاصد المختلفة وكيف تلين في أيديهم القوالب الشعرية".[2]

وهنا نرى العقاد ينادي بما ذهب إليه الأوربيون في شعره، وقد امتدح شعر شكري والمازني في عدم التزامهم مبدأ القافية الواحدة. فذهبوا في الكتابة على مذهبهم، كما نزعوا إلى الذاتية ونبذو شعر المديح والهجاء والتهاني والمناسبات.

كما اعتمد العقاد على منطلقات ربطت الشعر وعللته على ضوء الدراسات النفسية ومن منطلقات أخرى تمثلت في الطبيعة والبيئة، فدراسته لابن الرومي مثال جيد عن الدراسات النقدية التي ظهرت في إطار الاتجاه النفسي، والذي استخدمه أيضا مع أبي نواس، والمتنبي وأبي العلاء.

[1] أنظر محمد سلام زغلول، كتاب النقد الأدبي الحديث ،أصوله واتجاهاته، ص223.
[2] عن ديوان المازني، محمد سلام زغلول، النقد الأدبي الحديث أصوله، قضاياه ومناهجه، ص230.

كما بدأ العقاد دراسته تلك بمبدأ الطبيعية الفنية التي اعتبرها كمقياس للحكم على الشعراء وهذه الطبيعة يعني بها: "تلك الطبيعة التي تجعل من الشاعر جزاء من حياته ... فديوانه هو ترجمة باطنية لنفسه".[1]

وهو مثلا يتحدث عن تأثير الطبيعة فيسأل ابن الرومي عن الإحساس الذي انتابه فراح يصف الأرض في فصل الربيع في قوله:

تبرجت بعد حياء وخفر نبرج الأنى نصدت للذكر

فالعقاد يرى "لطافة حس جعلت نفسه يشعر بتلك العلاقة الخفية بين تبرج الأزهار وتبرج النساء، ولم يكن ذلك مجرد تشبيه جاءت به المناسبة العارضة، إنما هو شعور غامض في نفس لا يفارقه ... ومنها الإحساس بذلك التبرج كما هو في الطبيعة".[2]

وهنا تكمن دعوة العقاد حل الشعراء بالتعبير عن المحسوس الذي هو صورة للحالة النفسية التي يكون عليها الشاعر وما هذا المحسوس إلا انعكاس للذات والتي تنكشف من خلال العوامل التي كونت نفسيته ومن خلال استقراء الرموز الدالة على ذلك كالرموز التي تقف وراءها المرأة في شعر ابن الرومي. وكذا ما فعل العقاد أيضا مع بشار والأسس النفسية والجسمية التي اعتمدها في تحليل شخصيته، إذأ، الحس عند بشار بن برد أخذ مكان الخيال وكذلك في دراسته عن أبي العلاء المعري وعن فلسفته والتي تأثر في دراسته له بنظرية التطور عند داروين، وهذه النظرية هي التي تفسر شعر أبي العلاء في نظر العقاد.

وهذا المنهج الذي انتهجه العقاد في دراسته للشعر والشاعر والأدب بصفة عامة وفيه ما يقول الباحث التونسي: "إنه منهج نفسي يزن جميع الأعمال ويفسرها، ويعللها ببواعثها في نفس الإنسان" ويقول أيضا: "إن هذا المنهج قائم على ما يؤمن به العقاد من أدب الأديب ... إنما هو صورة نفس صاحبه وتاريخ حياته الباطنية وأن عمل الناقد هو البحث عن الأدب في أدبه وأن الشاعر الذي لا نعرفه من خلال شعره لا يمكن له أن نعرفه".[3]

---

[1] أحمد حيدوش، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، ص90، عن العقاد، ابن الرومي حياته من شعره.
[2] المرجع نفسه، ص50-51.
[3] أحمد مندور النقد والنقاد المعاصرون، ص84-86.

نقده لشوقي:

لقد شن العقاد حملته الشرسة والعنيفة على الشاعر أحمد شوقي وقد تناول كتاب "العقاد الديوان" نقد الشاعر نقدا لادعا للرد على خصوم العاقد والمازني في آرائهم من شوقي، وقد اعترف العقاد بقسوتها، وقد تضمن نقده ذاتية كانت من العقاد أبعدت نقده عن الموضوعية فكان التحامل والتجني على الشاعر ظاهرا في تطبيق العقاد لمقاييسه النقدية التي طالما ظلم بها شوقي، وقد أخذ عليه الركاكة في الأسلوب، وفساد الذوق والتقليد، والتفكك والولوع في الأغراض دون الجواهر، والسرقة تفاهة حكمته وجنوحه للوصف الحسي، وعامية روحه وعقم أفكاره مع الخطأ فيها، وفي هذا يقول: "فالعيوب المعنوية التي يكثر فيها وقوع شوقي، وأضرابه عديدة ومختلفة الشتات المداخل ولكن أشهرها وأقربها إلى الظهور وأجمعها لأغلاطهم عيوب أربعة هي: التفكك والإحالة، والتقليد والولوع بالأغراض دون الجواهر، وهذه العيوب التي صيرتهم أبعد عن الشعر الحقيقي الرفيع والمترجم عن النفس الإنسانية في أصدق علاقاتها بالطبيعة والحياة والخلود".[1]

[1] أنظر محمد سلام زغلول، النقد العربي، اتجاهاته وأصوله وقضاياه، ص237.

العيوب التي وقع فيها شوقي في نظر العقاد:

1- التفكك وانعدام الوحدة العضوية:

عرض العقاد لهذا العيب في بناء القصيدة وانعدام الوحدة في بعض قصائد شوقي التي قلد فيها القدماء، والتي سماها العقاد بالوحدة العضوية بحيث لا يمكن تقديم بيت عن آخر، وحكم على قصيدته في رثاء "مصطفى كامل" بأنها مفككة البناء لأنه استطاع إعادة بنائها على نحو جديد دون أن يبدو عليها التخريب وهذه القصيدة مطلعها:

المشرقان عليك ينحبان قاصيهما في مطلع والداني

2- الإحالة:

أما عن الإحالة والتي هي فساد في المعنى فيقول العقاد: وهي ضروب ومنها الإعتساف والشطط والمبالغة، ومنها مخالفة الحقائق، ومنها الخروج بالفكر عن المعقول أو قلة جدواه، وخلو مغزاه وذلك مثل قول شوقي:

السكة الكبرى حيال رباها منكوسة الأعلام والقضبان

وقضبان السكة لا تنتكس لأنها تطرح على الأرضء ولا تقام في السماء.

3- التقليد:

يتهم العقاد الشاعر بالغلو والتقليد فيقول: "فأما تقليده فأظهره تكرار المألوف من القوالب اللفظية والمعاني، وأيسره على المقلد الاقتباس المقيد والسرقة". وهذا من قول شوقب:

فارفع لنفسك بعد موتها ذكرها فالذكر للفتى عمرثان

مأخوذ من المتنبي:

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ماقاته وفضول العيش أشعار

ومن أمثلة التي اتهمه بها أيضا: سرقة معاني المعري ونلحظ دلك في قصيدته فيوازن بين بيت المعري القائل:

خفف الوطء فما أضن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد

وبيت شوقي:

والغبار الذي على سفحتيها دوران الرحى على الأجساد

ثم بيت المعري:

أبكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها المياد

وبيت شوقي:

ضاق عن ثكلها البكا فغنت رب ثكل سمعته من شاد

فيقول العقاد: "ثم يروقك وأنت تباري المعري مباراة المضحكين، أن تزعم لمن حولك ولنفسك، أنك نظمت في فلسفة الموت، وبذذت شيخ المعرة في آية من آياته".[1]

4- الولوع في الأغراض دون الجواهر:

يقول العقاد، أنظر أيها القارئ:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

ثم يسخر منه ومن بيته ومن تشبيهه دقات قلب الإنسان بدقات الساعة، ثم يعجب عليه فساد الذوق، كأن يرد الشاعر المدح فيهجو من غير قصد أو يريد البكاء فيهزل ويضحك وذلك ما يجده في مرثية شوقي "لعثمان غالب":

ضجت لمصرع غالب في الأرض مملكة النبات

ثم ينقد العقاد مسرحيات شوقي وكان نقده لها ضمن حملته العنيفة، حيث بدأ نقده مذ بدأ الشاعر تحريرها في أسلوب شعري، وقد تضمن كتابه "قمبير" آراءه النقدية، فأخذ عن شوقي عدم استخدامه الحقائق التاريخية الثابتة وعدم استخدام أسماء تاريخية لا معة.

وخلاصة القول أن نقد العقاد في مجمله، كان نقدا ذاتيا عنيفا، والمهم في الأمر أن كل كتبه النقدية وجلها، حملت آراءه النقدية وأسسه ومناهجه الواضحة، والتي تجلت في دراساته الأدبية، فكان له الأثر البالغ في توجيه الشعر النقدي الحديث في مصر، وذلك في دعوته إلى الجديد وتحامله على القديم فكان ناقدا بارزا وذلك لحرصه على التوجيه والتقييم، أكثر من حرصه على التفسير والتعليل. فكان نقده أدبيا في رأي الباحث محمد مندور الذي يقول:

[1] محمد سلام زغلول، النقد الحديث في مصر، أصوله، قضاياه، ومناهجه، ص238.

"وعلى هذا الإنسان يمكن أن نخلص إلى أن العقاد كان أقرب إلى النقد الأدبي ... وأن أثره الكبير القوي قد كان في المعارك الأدبية دعا إليها".

ومحمد مندور من المتحاملين على العقاد وقد اتهمه بالتعسف والذاتية، لكن هذا لا ينفي أن العقاد كان عملاق عصره إذ يقول: "لقد وافقناه على بعض آرائه، وخالفناه، ولا زلنا نخالفه، لكننا نحمد له دائما أنه شاعر وقصاص وناقد، وأستاذ وباحث أصيل، وهو فرق كل هذا بعد كل هذا من أعلام الفكر المعاصرين ... فأصبح العقاد اليوم في طليعة المحافظين المتزمتين بعد أن كان في طليعة دعاة التجديد"[1]

وهذا ما ذهب إليه أيضا الأمين في كتابه "نشأة النقد الأدبي في مصر".

[1] راجع محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، ص157-158.

الخاتمـــة

الخاتمـــــــــة

نخلص في نهاية المطاف، ومن خلال تناولنا للموضوع – بكل أبعاده – أن تلك العوامل التي أثرت على حياة النقد الأدبي بمصر مذ نشأ حديثا، متفاعلا مع التغيرات الطارئة على البيئة من تيارات فكرية سياسية واجتماعية ، واقتصادية.

وقد ذكرنا أن النقد الأدبي وتطوره وخروجه عن تلك الدروس القديمة، وتلك المناهج البلاغية اللفظية التي كان يدرس من خلالها الادب والنقد، وتحوله عنها إلى مناهج جديدة كان لتأثير مجموعة عوامل كما تقدمنا بها، مع تعمدنا عدم ذكرها جميعا، بانقائنا لأهمها، كالاتصال بالأجانب، البعثات العلمية والاستشراق الذي يعد في مقدمتها.

كما خلصنا إلى أنها – هذه العوامل – كانت تأسيسا للمناهج الحداثية التي كانت مع مجموع النقاد، والأدباء البارزين "كطه حسين والعقاد" والذين كانت على أيدهم تلك المناهج، فكل منهما مثل تيارا أو اتجاها وكل بمنهجه الخاص، زيادة على التيار المحافظ الذي ذهب في الحفاظ على القديم ونبذ الجديد.

وكنتيجة أخرى لهذه الدراسة فإننا قد توصلنا وعلى ضوء دراسات النقاد المعاصرين إلى الاختلاف الموجود بين هذه المناهج الحديثة فمنهج العقاد يختلف عن منهج طه حسين الذي كان منهجا فنيا علميا اعتمد منهج الشك، وكأهم نتيجة تجلت لنا من خلال مشوارنا في هذا البحث أن الأدب العربي بصفة عامة كان في مصر بشكل بارز بخلاف البيئات العربية الأخرى، وكان مع أبرز النقاد الذين ظهروا في هذه البيئة ومناهجهم المختلفة فذاع صيتهم وصاروا من أعلام النقد العربي.

وأخيرا نأمل أن يكون هذا العمل ثمرة جهد ينتفع بها من بعدنا من طلبة الجامعة.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- الأمين عز الدين، نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر، الطبعة الثانية، 1390هـ، 1980م، دار المعارف بمصر.

2- أحمد هيكل، تطور الأدب الحديث في مصر، من أوائل القرن التاسع عشرة إلى قيام الحرب العالمية الثانية، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر.

3- أحمد حيدوش، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، اليوان الوطني للمطبوعات الجامعية، دون طبعة.

4- جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، الجزاء الرابع، طبعة جديدة.

5- حسين طه، تجديد ذكرى أبي العلاء، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر.

6- حسين طه، تاريخ 'داب اللغة العربية، لكارلونيلينو، الطبعة الأولى، دار المعارف 1954.

7- حسين طه، المجموعة الكاملة لمؤلفاته، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر.

8- حسين طه، في الأدب الجاهلي، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثالثة، 1933.

9- حسين طه، حديث الأربعاء، دار المعارف 1960.

10- حسين طه، الأيام، الجزاء الثاني، دار المعارف بمصر، 1960.

11- حلمي مرزوق، تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث في الربع الأول من القرن العشرين، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دون طبعة.

12- حسن الإماراتي، المتنبي في دراسة المستشرقين، الطبعة الرابعة.

13- محمد مندور، النقد المعاصرون، مطبعة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، دون طبعة.

14- محمد مندور، الأدب ومذاهبه، الطبعة الرابعة، مطبعة نهضة مصر، الفجالة، الطبعة الرابعة.

15- محمد سلام زغلول، النقد العربي الحديث، أصوله ومناهجه وقضاياه، دون طبعة، المكتبة الأنجلو مصرية.

16- المنفلوطي، مختاراته، الطبعة الثالثة، دار المعارف، 1904.
17- شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر بمصر، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر.
18- عبد الرحمن شعيب، المتنبي بين ناقديه، الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر.
19- العقيقي نجيب، المستشرقون، الجزاء الأول، الطبعة الثالثة، مزيدة ومنقحة، 1964.
20- مجلة سلسلة كتب الثقافة المقانة، كتب الاستشراق، العدد الرابع.

فهرس

مقدمـــــة

المدخل: 01

مظاهر النقد القديم.....01

المقاييس المعتمدة في النقد في هذه المرحلة.....03

الفصل الأول

حملة نابوليون.....08

الإحتلال الإنجليزي والأدباء الغربيون.....11

اتصال المصريين بالغرب الآخر.....14

البعثات العلمية.....15

رفاعة رافع الطهطاوي.....18

علي مبارك.....19

الفصل الثاني

الاستشراق وأثره في النقد.....24

جهود المستشرقين.....24

أهم المستشرقين الذين وفدوا على مصر.....27

أثر الإستشراق في النقد.....30

الفصل الثالث

النقد عند طه حسين.....38

دور طه حسين في النهضة.....44

النقد عند عباس محمود العقاد.....46

نقده لشوقي.....50

العيوب التي وقع فيها شوقي في نظر العقاد.....51

التفكك وانعدام الوحدة العضوية.....51

الإحالة 51

التقليد 51

الولوع في الأغراض دون الجواهر.....51

خاتمة.....55

الملخص :

لقد استهلت مذكرتنا أن العوامل التي أثر على حياة النقد الادبي بمصر منذ نشأته متفاعلا مع التغيرات الطارئة على البيئة من تيارات فكرية وسياسية و اجتماعية واقتصادية ، كما أن هذه العوامل كانت تأسيسا من لمناهج الحدثية التي كانت مع مجموع النقاد و الأدباء البارزين " طه حسين و العقاد" و الذين كانت على أيديهم تلك المناهج وكأهم نتيجة تجلت لنا أن الأدب العربي بصفة عامة كان في مصر بشكل بارز بخلاف البيئات العربية الأخرى.

الكلمات المفتاحية :

النقد الأدبي الحديث –العالم العربي–مظاهر النقد–الاستشراق في النقد –البعثات العلمية

Summary

Our memo has started that the factors that affected the life of literary criticism in Egypt since its inception are in interaction with changes in the environment, from intellectual, political, social and economic trends. These factors were also the foundation of the modern approaches that were with the sum of prominent critics and writers Taha Hussein and Al Akkad and who were in the hands of those curricula and were the most important result of the fact that Arab literature in general was prominent in Egypt unlike other Arab environments.

Keywords:

Modern literary criticism - Arab world - manifestations of criticism - Orientalism in criticism - scientific missions